

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

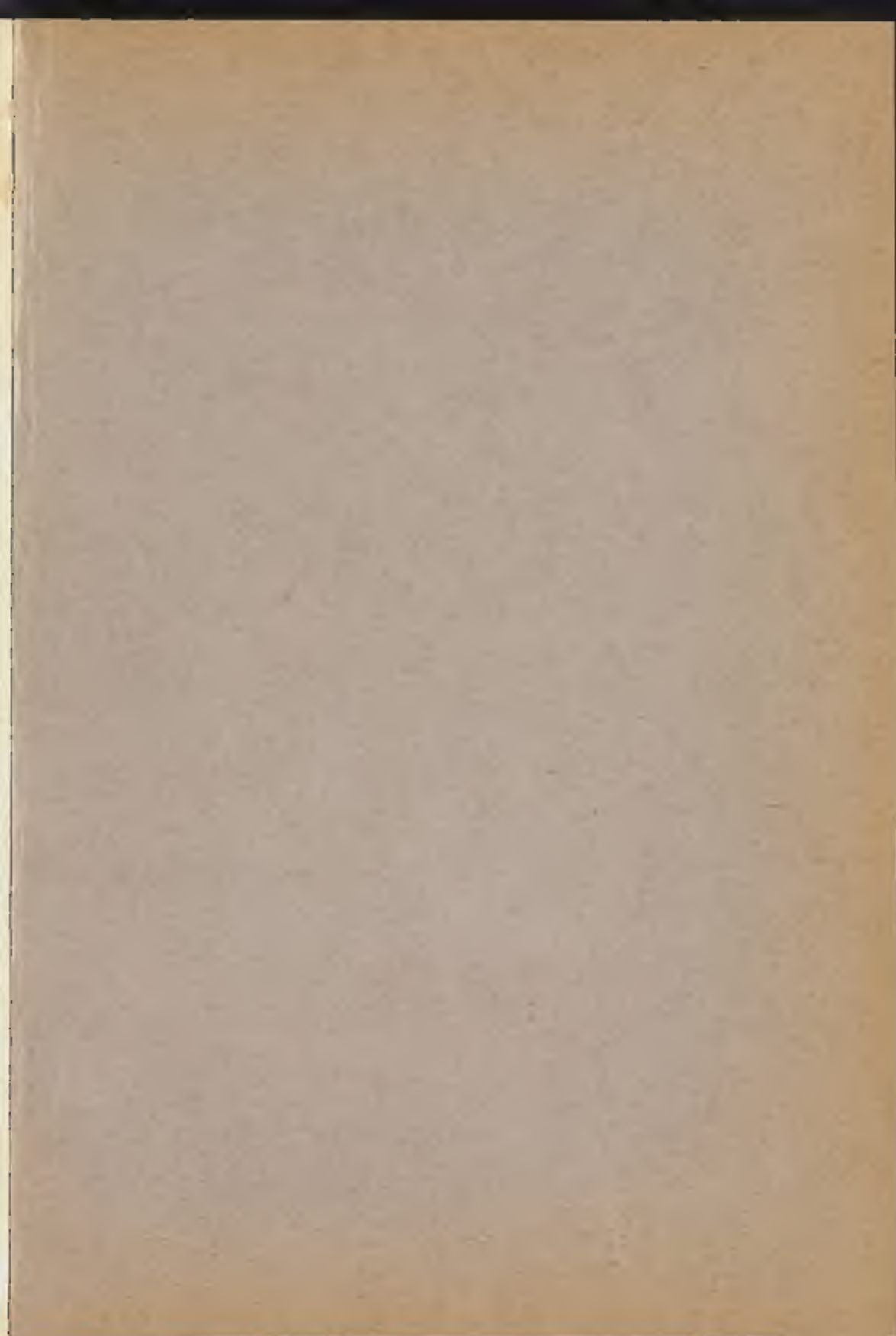
VAR. 9906

الجاهلية

مقترنة في الحياة العربية لدراسة الدكتور الخليلي

الدكتور محمد الخليلي

١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م



الجاهلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجاهلية

مقدمة في الحياة العربية لدراسة الدكتور الوائلي

الدكتور يحيى الجبوري

١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

D5
215
J82

المقدمة

هذا الكتاب في حقيقته مقدمة لكتاب بعده في أدب العصر الجاهلي واتجاهاته ، وقد حاولت ان اقدم لأدب الجاهلية بدراسة موجزة بعض الانجاز عن حياة العصر ، تلقى الضوء على أهم الجوانب التي تعين على فهم الادب وتوضح قضاياها وتفسر ظواهره . وحين مضيت في بحث هذه الجوانب ، وجدت ان الموضوعات التي علي ان اطررها أو أرى ضرورة في بحثها قد كثرت وبرزت أهمية تركيدها وتوضيحها .

وقد توفرت أثناء البحث مادة غزيرة وصفحات طوال ، فأجريت القلم فيها حذفاً وتشديداً واختصاراً ، فبقى بين يدي ما لا بد من بقاءه ، اذ يتعذر الاستغناء عنه والتلاعب به ، فان في ذلك ثلماً للفكرة الأساسية وجوراً على الموضوع الذي اريد .

وقد وجدت ان هذه الفصول التي تراها بين يديك قد اكتملت وتحددت وجمعتها وحدة فكرية وموضوعية ، وان ضمها الى دراسة اخرى سيخرجها عن وحدتها ويحلبها ما لا ينطق . فكان لكل ذلك ان افردت هذه الدراسة في كتاب مستقل مستكمل الجوانب واضح المنهج .

ولا شك ان دراسة العصر الجاهلي على أهميتها ، تحف بها كثير

من المشكلات ، ولذلك فلا بد للباحث ان يكون حذراً من اطلاق
الاحكام والفرضيات بالنسبة لطبيعة الحياة وظروف العصر ، وليس
من شأن هذا البحث ان يفيض في دراسة العصر ، فان في ذلك سعة
لمن يريد ان يفرغ للعصر الجاهلي فيدرس تاريخه ولفته وأحواله العامة ،
وذلك أمر يخرج بي عن طبيعة المنهج الذي رسمت ، وانما هي هنا أن
أدرس العصر بالقدر الذي يعين على فهم الشعر الجاهلي وحياة الشعراء
ويبين نزعاتهم ويفسر كثيراً من المثل والتقاليد التي يتردد صداها - وما
زال - في الشعر العربي .

ولعل من أصعب الامور وأشدّها عراً أن يحاول المرء رسم
صورة للعصر صادقة وواضحة وموجزة في آن واحد ، وهذا ما حاولت
ان افعله في هذه الفصول .

لقد نظرت في قضايا الجاهلية فوجدت ان لي رأياً في كثير منها
قد يخالف ما تعارف الناس عليه ، وقد كان في نفسي شيء من بعض
القضايا التي يظنها الناس اموراً بدئية مسلماً بها ، فأردت ان اعرف
وجه الحق اولاً ، وأثبت ما هداني اليه البحث ثانياً ، وأبين ما ارتضيت
من آراء كونتها الدراسة الفاحصة المحصنة ثالثاً . وقد دلت على
وجهة نظري بكثير من الأدلة والشواهد ، معتمداً في ذلك على
مصادر بحث اصلية متقدمة .

وقد بنيت هذه الدراسة على خمسة فصول متكاملة مترابطة ، ففي
فصل عرب الجاهلية وقفت عند مفهوم الجاهلية وحددت معناها
وناقشت الآراء في تسميتها ودلالاتها وأوضحت الرأي الذي ارتأيه .
وكذلك وقفت عند اهل تلك الجاهلية وميزت بين عرب الحاضرة

وأعراب البادية وبينت الفارق بينها وصلة هؤلاء بأولئك « وكيف
نظر الاسلام والمسلمون الى العرب والاعراب ، حتى اذا اطمان البحث
الى تحديد المفهوم وإزالة اللبس ودفع الوم ، مضيت في دراسة العصر
الجاهلي وكان أول ما يجب معرفته ان نعرف على القبائل العربية
واثبت مواضعها واعرف تحركاتها وأبين علاقاتها وصلاتها وما يترتب
على هذه الصلات من تحالف وحروب وهجرات وأسفار ، وافر
وكذلك علاقة هذه القبائل بالامارات العربية التي قامت في العراق
والشام ودومة الجندل ، وقد وقفت قليلا عند هذه الامارات وبيّنت
طبيعة تكوينها وأثرها في حياة الجزيرة وحياة أبنائها اهل المدر منهم
واهل الوب ، لما كان بينهم وبين ملوك هذه الدول من صلات ودية
حيناً وحربية في اكثر الاحيان .

ونظرت في حياة العرب الاجتماعية فتعرفت على طبيعة حياتهم
وعيشهم ، ونصيبهم من الحضارة ، وقد اذحت الصورة الخاطئة التي
تصور العرب في البادية جفاة متبدين اصحاب رحلة ونقلة ، واوضحت
ان لكل قبيلة منازل في الصيف ومنازل في الشتاء ، فاذا تنقلت في
الصحراء فانها تنتقل ضمن رقعة محددة مبيّنة ، وبينت ان البادية لم
تكن منقطعة عن الحاضرة ، بل متصلة بها تأخذ منها وتعطيها ، فبينما
صلات وثيقة وتبادل وزواج ، وكثير من القبائل لها بادية وحاضرة .
واذا امعنا النظر في طبيعة المجتمع العربي نجد ثمة صلات تجمع بين
القبائل وتؤلف قلوبهم على مش عليا يحترمونها ويحلون بها ، ويستوى
في ذلك السادة منهم والعبيد ، البدو والحضر ، وجماع تلك المثل :
الكرم والشجاعة والمروءة وحماية الجار والوفاء ، والحلم والتسامح .

ونظرت في معاش القوم فوجدتهم يختلفون في ارزاقهم سواء في الحاضرة ام في البادية ، فنههم الغنى الميسور ومنهم الفقير المدقع ، وكانت طبيعة حياتهم قد حددت معاشهم وبرز مواردهم في البادية الغارة والصيد والاعتماد على ما تدره حيواناتهم ، اما في الحاضرة فقد نشطت التجارة وقامت الزراعة والصناعة ، ولكل ذلك مواضع معينة واناس معروفون . وكان لمكة النصيب الاكبر من التجارة ، كما كان لرجالها اليد الطولى في تنشيط التجارة وتوسيع رقعتها .

اما الناحية الحضارية والعقلية من حياة العرب فقد حاولت اولا ان افند المزاعم الباطلة حول العصر الجاهلي ووصف اهله بالتأخر والبدائية والانعزال ، وحاولت ان اجلو الفشاوة المفتعلة عن الصورة الاصلية لحياة العرب ، فهم اولو حضارة عريقة وصلات بالعالم المجاور ، وقد ساعد ذلك اتصالهم بحيرانهم من الامم التي تتجر وايها او تحظر اسواقها . فكان هنالك تبادل ثقافي بين العرب والفرس وبينهم وبين الروم والحبش والهنود وغيرهم من الامم . وقد ساعد ذلك الاسواق والتجارة وكثرة الاسفار التي يقوم بها تجار العرب ، ثم وجود الجاليات الاجنبية في قلب البلاد العربية .

وظهرت عند العرب جملة علوم كان اهمها معرفتهم بالنجوم ومواقعها وانوائها ، والرياح ومهابها ، وقد غنيت اللغة العربية باسماء المطر والسحاب والرياح ، واثقوا كتباً كثيرة في ذلك ، كما برعوا بالطب والبيطرة ، وان خالطت الخرافة بعض علومهم ، وكان لهم بصير بالفراسة والقيافة ، ولهم علم واسع بالتاريخ والاخبار والايام منذ اقدم الازمنة اما الانساب فقد برعوا بمعرفتها وضبطها ، فعرفوا

اصول كل قبيلة وفروعها واخبارها وایامها وأوكوا ذلك عناية فائقة .
وقد ظهرت لديهم الحكم والامثال التي يصح ان نستدل بها على رقي
عقليتهم ونضج تجاربهم ونظرتهم الصائبة الى الحياة .

ووقفت عند الحياة الدينية لعرب الجاهلية ، وناقشت مفهوم
الشرك الذي يطلق على اهل ذلك العصر ، وتوصلت الى ان الشرك يفهم
من تقديس معبودات مع الله سبحانه على انها وسائل يتخذونها لتشفع
لهم عند ربهم ، لا على انها شريكة في ملك الله او انها خالقة مدبرة .
وان العرب كانوا على دين ابراهيم دين التوحيد ، وهم بعد يؤمنون
بالله الواحد القادر الخالق الرازق الذي بيده امر كل شيء . . . وقد
دخلت الاصنام في حياتهم في عصر متأخر ، وبيئت سبب دخولها
وكيفيته . ونظرت في مدى تمسك العرب بدينهم فوجدت ان الاعراب
اقل احتفالا بالدين واهتماما بالاصنام من العرب المتحضرين .

وقد تبينت لدينا ديانات في الجزيرة كانت تنافس الوثنية الدين
العام للعرب ، منها الحنيفية دين ابراهيم ، وقد شهدت المدن بخاصة
بجموعة من هؤلاء الاحناف ، الذين كانوا يترقبون الدين الجديد ويبشرون
به . وهناك ديانتان اخريان موحدتان كان تأثيرهما محدودا ضيقا ،
هما : اليهودية والنصرانية اللتان لم تستطعا ان تدحرا الوثنية او تقللا
من شأنها . وكان الى جانب ذلك كله ديانات جاءت من الامم المجاورة ،
مثل المجوسية والذهرية وعبادة النجوم والكواكب وغيرها .

وبعد :

فارجو ان اكون قد قدمت في هذا البحث بعض ما اصبو اليه

من خدمة العربية وتراثها ، فلها علي يد لاتجعد وفي قلبي لها حب لا
يفنى ، وقد نشدت وجه الحق في كل سطر كتبه ، وكل رأى ارتأيته ،
وقد وزعنى اليقين الصادق عن الحساس الضال الكاذب ، فان اصبحت
فذلك حسبي ، وان اخطأت فما انا الا امـ رؤ ضعيف يصيب قليلا
وينخطئ كثيرا ، وسبحان من له الكيال وحده ، فنه السداد وبـه
التوفيق .

والحمد لله اولا و آخر

عبدى رقيب الجورى

تهديد

بلاد العرب

جزيرة العرب او شبه جزيرة العرب ، اكبر شبه جزيرة في العالم ،
تقدر مساحتها بثلاثة ملايين كيلو متر مربع وكانت في الايام
الفايرة الموعلة في القدم خصبة مزروعة عامرة بالسكان ، اذ تأتيها
الرياح الغربية المشبعة بالقيوم والتي تظطر مرتفعات سورية وفلسطين ،
فتمطر الجزيرة ايضا مطرا غزيرا تجري به السيول في الاودية الكثيرة ،
وقد بقيت الاودية العميقة في قلب الجزيرة وانحائها من آثار تلك
السيول الجارفة والامطار الغزيرة التي هي سبب الحياة فيها .

ويتميز سطح الجزيرة بسهل منحد من الغرب نحو الخليج العربي
ومنخفضات ارض الرافدين وترتفع على هذه المهامه والبطاح الواسعة
الشاسعة سلسلة جبال محاذية لساحل البحر الاحمر ، ترتفع ارتفاعا
شاهقا اذ يبلغ في الشمال عند مدني تسعة آلاف قدم ، ويشمخ في
الحجاز جبل السراة الذي يبلغ عـشرة آلاف قدم وفي اليمن جنوبا
اثني عشر الف قدم وتنحدر الاوض انحدارا تدريجيا نحو الشرق ،
وانحدارا جفائيا قصيرا نحو الغرب حيث البحر الاحمر .^(١)

(١) انظر الحمداوي - صفة جزيرة العرب ص ٦٧ ط ليدن وقد افدنا في هذا
التمل من مجلة مراجع حديثة اهمها : جزيرة العرب - حافظ وهبة وتاريخ العرب - =

وترتفع هضبة نجد في المنطقة الشمالية الوسطى حوالي ٢٥٠٠ قدم وفيها سلسلة جبال تعرف بجبال شمر ، وام قمها جبل أجأ وهو من الغرانيت الاحمر ويبلغ ارتفاعه ٥٥٥٠ قدما فوق سطح البحر، وهناك جبال اخرى تمتد وراء السهول الساحلية من جهات الجزيرة الثلاث تتفاوت في الارتفاع اعلاها الجبل الاخضر الذي يبلغ ٩٩٠٠ قدم وهو الموضع الوحيد المرتفع من الناحية الشرقية اذ ان المنطقة الشرقية هي منطقة الانحدار .

اما بقية الارض غير الجبال والهضاب فانها في الغالب صحارى ودارات ، والدارات سهول رملية مستديرة بين التلال تستقر تحت سطحها المياه ، منها بادية الشام التي يعرف قسمها الجنوبي بالحماد ، وكذلك بادية العراق التي تعرف ببادية السماوة .

وتتميز الصحراء العربية بثلاثة انواع من الاراضي هي :
اولا : النفود :

وهي بادية متسعة تزيد رقعتهما على مائة الف كيلومتر مربع ذات رمال متموجة بيضاء تضرب الى الحمرة تسفيها الرياح فتحمل منها كثباناً او تلالاً تغطي الجزء الشمالي من الجزيرة بين نجد وبادية الشام وبين نجد والاحساء وفي جنوب الجزيرة في الربع الخالي ، ويمكن تحديد النفود^(١) بوادي السرحان شمالاً ، وجبلي أجأ وسلي (جبل شمر) جنوباً وتقع واحة تيماء في الجنوب الغربي من صحراء النفود

= جواد علي الجزء الاول ، وتاريخ العرب قبلب حتى وجرى وبيور ١٠٥/١ - ١٧٠
ومحاضرات في تاريخ العرب - صالح احمد البلي ١٠٢/١ - ١٥٠ تاريخ الجاهلية - عمر فروخ ص ٢٦-٢٩ .

(١) النفود او النفوذ بالذال المموجة : التي يصعب اجتيازها والطريق النافذ هو الطريق السالك . انظر الاسان والقاموس : نفذ .

ومدينة حائل في الجنوب الشرقي . وهي على العموم جافة الا في مناطق قليلة هي الواحات التي تصيبها الامطار احيانا فتنبت فيها المروج الخضرة فيكثر خيرها وترعاها ابل البادية وانعامها .

ثانيا - الدهناء :

وهي ارض ذات رمل ناعم لا تصلح للنبات ولو سقطت عليها الامطار ، تحتل وسط الجزيرة على شكل قوس كبير يمتد من الشرق حتى الغرب ، وتنحصر الدهناء بين النفود شمالا والربع الخالي جنوبا ، والربع الخالي جزء من الدهناء . منحصر بين عمان شرقا واليمن غربا ، وقد عرف الجانب الغربي من الدهناء باسم الاحقاف^(١) .

وتصيب الامطار هذه المنطقة في الشتاء ، فتنتشر فيها الخضرة وترعاها الماشية ، اما في الصيف فتقف الارض ويصيبها الجذب فلا تصلح للحياة . اما الربع الخالي فما زال مجهولا والمعلومات عنه قليلة ، وقد قام برترام توماس بمحاولة - سنة ١٩٣١ - لقطعه واجتيازه من البحر العربي نحو الخليج الفارسي واستغرقت رحلته ثمانية وخمسين يوما ، ووصف رحلته هذه في كتابه (العربية السميدة)^(٢) فذكر الرمال المفردة التي كان العرب يظنونها اصوات الجن ، واكتشف

(١) الحقف : الموج من الرمل او الرمل العظيم المستدير او المستطيل المعروف . انظر افسان والقاموس والناج مادة (حقف) وهو منطقة الشحر قرب حضرموت اليمن ، وفي الاحقاف منازل عاد وقد ذكرها في القرآن الكريم واسم (الاحقاف) سميت السورة قال قتال : (واذكر انما عاد اذ اندر فومه بالاحقاف) سورة الاحقاف ٢١ واخر عاد هو هود عليه السلام .

Bertram Thomas :

(٢)

Arabia Felix Across The Empty Quarter of
Arabia (New York 1932)

بحيرة من المياه المالحة عرفت فيما بعد انها من متفرعات خليج العرب
جنوبي قطر .

ثالثا - الحرار :

الحرار جمع حرة وتسمى اللوبة او اللابه ، ارض ذات حجارة
نخرة سود تشكون من الحجارة والمعادن الى المصهورة التي تسيل من
البراكين^(١) ، وتكثر الحرار في المناطق الغربية والوسطى من الجزيرة
وتتجه نحو الشمال حتى حوران الشرقية ، وفي معجم البلدان ذكر
الحرار كثيرة تبلغ الثلاثين واشهرها حرة المدينة التي نشبت فيها وقعة
الحرة المشهورة سنة ٥٦٣ وتعرف بحرة النار قرب خير^(٢) ويقال بل
حرة واقم التي تنسب اليها وقعة الحرة^(٣) . ومن الحرار المشهورة في
الجزيرة : الخدرية حرة لبني سليم ، وحرة واقم في المدينة وحرة ليلي
بديار قيس وحرة الحوض بين المدينة والعقيق وحرة شوران وغيرها^(٤)
وهناك حرار كثيرة منبثة في وسط الجزيرة وغربها تصعد الى الشمال
حيناً وتهبط الى الجنوب في حين آخر ، ويقال ان البراكين التي قذفت
هذه الحمم والحجارة كانت تشور بين آونة واخرى فتقذف بنيرانها ،
وكان آخرها في الاسلام في عهد عمر سنة ٥١٩ فأمر عمر بالصدقة
فتصدق الناس فانطفأت^(٥) .

هذه انواع الصحاري في بلاد العرب ، وفي وسط هذه الصحاري

(١) لسان العرب والقاموس المحيط (حرر)

(٢) ياقوت - معجم البلدان (حرر)

(٣) المصدر السابق ومعجم ما استمع - البكري ٤٣٥/٢ - ٤٣٨ والقاموس

واللسان (حرر)

(٤) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٢٣٨/٠ ط القاهرة ١٢٩٢ هـ

والدورات تنفس هضبة نجد التي تتكون من طبقة من الحجارة الكلسية تتخللها بعض البقع الرملية^(١).

هذا التقسيم الذي شهدناه من حيث طبيعة الارض ، اما التقسيم الذي اصطلح عليه الجغرافيون من حيث اثر البيئة الجغرافية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فانهم يقسمون بلاد العرب الى المناطق او الاقاليم الخمس التي هي :

١ - الحجاز :

وارضه جبلية خصبة كثيرة المياه ، وبها وديان كثيرة اشهرها وادي القرى بين العلا والمدينة . والقسم الشمالي من الحجاز يسمى ارض مدين وكانت تسكنها جذام^(٢) وارض حمص وبها آثار لامم بادت ومن جبالها اوم الذي ورد ذكره في القرآن كما يرجح^(٣) وتكثر في الحجاز المواضع البركانية والعرات ، وتنتشر فيه الآبار والعيون وبخاصة في القرى والمدن حيث يحدث الخصب والزرع ، مثل يثرب او المدينة كما سميت حين دخلها الرسول الكريم ، ووادي القرى شمالي يثرب ، ومثل مدينة قرح التي كانت تقوم فيها سوق عظيمة في الجاهلية ، وكذلك مدينة الحجر او مدائن صالح وقومه ثود ، وحول المدينة قرى ذات زرع سكنها اكثرها اليهود مثل خير وفدك ، وقد سكنت هذه المنطقة بعض القبائل العربية قبل الاسلام مثل غذرة وبلي وجهينه ، اما قضاعة فكانت عشائرها منتشرة نحو الشمال حتى شبه جزيرة سيناء . ومن مدن الحجاز المهمة مكة ذات المركز

(١) تاريخ العرب قبل حبشي ١٩/١

(٢) همان (جذم)

(٣) ياقوت - معجم البلدان ٢٧٧/٣

التجاري والديني ، وفي جنوبي مكة الطائف وهي مصيف المكين منذ القديم وتبعد عن مكة حوالي خمسة وسبعين ميلا ، والطائف عند جبل غزوان وتحيط بها اودية وآبار كثيرة .
٢ - تهامة :

وهي المنطقة الساحلية الممتدة على البحر الاحمر او بحر (القصم) ، وتسمى الغور او الساقلة لانحدارها^(١) وتعرف في الجنوب بـ (تهامة اليمن) وهي ارض ومالية شديدة الحرارة ، وفي تهامة بعض الثغور والمرافق ، مثل الحديدية في اليمن ، وجدة وينبع في الحجاز ، وشمال الحجاز ثغر صغير يعرف بالوجه ويقال انه ثغر مدينة الحجر المعروفة الآن بمذائن صالح ، وفي جنوبي الوجه قرية العودا ، وتمتد جبال السراة شرقي تهامة من الشمال الى الجنوب فاصلة بينها وبين هضبة نجد ومؤلفة اقليم الحجاز .

٣ - اليمن :

وتشمل اليمن مدنا كثيرة منها حضرموت ومهرة والشحر وظفار وعان ، وبهذا كان الجنوب كله يدعى اليمن ، وقد يخص بالزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة وهي بلاد اليمن المعروفة الان ، ويعرف القسم الساحلي بتهامة اليمن ، تفصل بينها وبين هضبة اليمن جبال هي امتداد لسلسلة جبال السراة ، وفي اليمن كثير من الاودية والسهول والاراضي الخصبة التي تروىها الامطار الموسمية ، وبذلك عم فيها الخير وقامت حضارتها منذ القديم حتى جاء وصفها في القرآن الكريم : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال

(١) معجم البلدان ٢/ ٤٣٧ و ٢١١/٦

كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور^(١)، ومن أشهر أودية اليمن الحصبه تبالة، وبيشة المشهورة بالاسود والمنسوبة اليها فقالوا: (أسد بيشة). وتعرف المنطقة الشمالية من اليمن المجاورة للحجاز باسم عسير وفيها منازل بجملة في الجاهلية، ومن مدن اليمن المشهورة صنعاء، وعدن ونجران وظفار وزبيد.

٤ - العروض :

وهي صحار وسهول ساحلية وتشمل اليمامة^(٢) والبحرين وما والاها وقطر ومنطقة الاحساء، والقطيف وفيها كثير من العيون^(٣) وفي الجنوب الغربي من القطيف تقع (العفيرة) وهي ميناء صغير^(٤) وعلى مقربة منها تقع (الجرعاء) وهي مدينة تجارية قديمة وسدوس ومنفوحة ويظن ان موطن قبيلتي طسم وجديس البائدتين في هذه المنطقة، وتمتد البحرين من البصرة الى عمان وبها منازل قبيلة عبدالقيس في الجاهلية. ومن اعمال عمان صحار ودبا وكانت تقام فيها سوق مشهورة في الجاهلية، وتشمل العروض منطقة الكويت الحاضرة وكانت تعرف بكاطمة، ومن المدن القديمة هجر المشهورة بكثرة نمرها حتى قالوا في الامثال: (كجالب التمر الى هجر) اما الخط التي تنسب اليها الرماح الخطية فهي القطيف نفسها.

٥ - نجد :

تقع نجد وسط الجزيرة وتشمل وادي الرمة، وما حاذى الحجاز

(١) سورة بآ ١٥

(٢) وقد عدّها ياقوت في نجد كما سيأتي انظر معجم البلدان ٥١٦/٨ .

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة ص ٦٨ ط لجنة التأليف ١٩٤٦م

(٤) المصدر السابق ص ٧٢ - ٧٣

وتهامة من نجد يعرف بنجد العالية ، وما جاور العراق منها يعرف بنجد السافلة ، والمنطقة الشرقية منها عند اليمامة تعرف باسم الوشوم اما شمالها الى جبلي طى . (أجأ وسلمى) فيعرف باسم القصيم وهو الرمل الذي ينبت فيه الفضا ، والقضا ضرب من الأثل واليه ينسب اهل نجد فيسمون اهل الفضا ، وتشمل نجد اليمامة عند ياقوت^(١) وتسمى بـ (جو) ومركزها حجر وهي موطن طسم وجديس ومن مدنها منفوحة وبها قبر الأعشى الشاعر ، وسدوس وهي مدينة قديمة . وتنفسح ارض نجد من الشمال على بادية الشام التي تكثر فيها الاودية والواحات ، وبادية العراق او بادية السماوة ، وتفصل بينهما وبين نجد صحراء النفود الواسعة ، اما من الناحية الشرقية فتكون صحراء النفود فاصلا بين نجد وبين البحرين وتسمى هنا الدهناء او (رملة عالج) وهي منازل نعيم وضبة في الجاهلية والاسلام .

المناخ :

مناخ الجزيرة بعامة جاف حار قليل المطر صيفا ، وبارد شديد البرودة شتاء ، وعلى الرغم من ان البحار تحيط بالجزيرة من جوانبها الثلاث ، فان جو الجزيرة بقى جافا حارا ، فرياح السموم التي تهب صيفا تمتص الرطوبة قبل ان تتمكن من التوغل داخل الجزيرة ، فذلك لم تستطع هذه البحار لتلطيف جو الجزيرة . اللهم الا سواحل المحيط الهندي التي تسقط عليها الامطار التي تحملها الرياح الموسمية في الصيف وخاصة في اليمن . اما الحجاز فالامطار فيه قليلة ، وقد

(١) معجم البلدان ١١٦/٨

يستمر الجفاف أكثر من موسم، وإذا جاءت الأمطار في بعض المواسم فقد تأتي غزيرة تنشأ منها السيول، ويتحدث البلاذري عن سيول مكة فيخصص لها فصلاً في كتابه فتوح البلدان^(١)، وأمطار الحجاز تحملها الرياح الغربية التي تهب من الناحية الغربية الشمالية وهي أمطار شتوية، أما المناطق الداخلية الوسطى فأمطارها قليلة وذلك صارت أمطار نجد غزيرة يتمناها الناس فأسموها غيثاً^(٢).

وأهم المناطق التي ينزل عليها المطر مدراراء اليمن وعسير، فاكثرت لذلك أرضها بالخضرة وانتظمت الزراعة فيها وامتلات أوديتها بالمياه. أما إقليم الجزيرة الوسطى وجبل شمر فتسقيها الأمطار المائية من مياه الخليج الفارسي وكذلك عُمان في الجنوب الشرقي من الجزيرة فإن الأمطار تسقط فتسقى الأرض الزراعية الخصبة. وحين ينقطع مدد السماء عن الجزيرة وتحتبس الأمطار، يعم الجذب والجفاف ويحل المحل والمهلك ولذلك سمي الجذب سنة بالنسبة للموسم فيقولون (أصابتنا سنة انت على الأخضر واليابس). وقد دفعتم قلة الأمطار إلى النقلة - وخاصة في نجد - في طلب العشب والكلاء والماء.

ومن هذا نجد أن الزراعة المنتظمة التي تعتمد على الأمطار الموسمية هي في المناطق الساحلية الجنوبية والشرقية، وهي في مناطق الحضر المستقرين، على نقيض المناطق الشمالية التي تعتمد على المراعي، وقد

(١) ص ٥٣ - ٥٥ طبع ١٨٦٦ م

(٢) وأسموها جوداً وحياً لما في ذلك من معنى المون والنمرة والخير والعكرم والحياة.

قام الاستقرار في المناطق الشمالية في الواحات المنتشرة في أنحاء من الجزيرة^(١) وبعض المدن التي تكثر فيها الآبار والمياه الجوفية، ويمكننا أن نعزو سكن كثير من القبائل الكبيرة في نجد إلى هذه الواحات والمياه الجوفية، حيث تمتد وادي الرمة ذو المياه الجوفية في قارب نجد. وكذلك يعود الفضل في خصوبة حضرموت وزراعتها إلى الأودية العميقة التي تحوي المياه في باطنها. فالجزيرة وإن حرمت من الأنهار الجارية، فإنها تسقى من العيون الثرة والمياه الجوفية والوديان التي تملؤها السيول شتاء، وما تجود عليها السماء من مطر غزير في السواحل، عزيز قابل في نجد والحجاز. ولم نعدم قمم الجبال من الأجواء الباردة التي ربما جمد الماء فيها كما نعو معروف عن جبل غزوان لجوار الطائف^(٢)، وقد تسقط الثلوج في صنعاء شتاء، كما تسقط على قمة جبل حضور الشيخ في اليمن^(٣).

وقد رسمت هذه الوديان والآبار ومواقع الواحات اتجاه الطرق لقوافل التجارة والمواصلات، فالقوافل عادة تتبع طرق المياه وتحاذيها وبذلك كان طريق العراق محاذيا وادي الرمة مارا ببريدة في نجد،

(١) الواحات هي الدارات التي يكثر ذكرها في الشعر الجاهلي كدائرة جبل ودارة الأرام والأبرق وغيرها والدائرة كل أرض واسعة بين جبال، ويصف الشعراء الدارات على أن فيها مياه غامرة يصدونها للحر والشرب كما تعرف من وصف امرئ القيس دارة جبل ودمون ودارات العرب كثيرة أحصى الفيروز آبادي أكثر من مائة وشره. انظر القاموس المحيط (الدار) ٣١/٢.

(٢) مسائل الممالك ص ١٩ ط لندن ١٨٧٠

(٣) تاريخ العرب - قبيل حتى ٢١/١

(١) يرجح الدكتور صالح البلي أن هذه الوديان كانت في الأزمنة القديمة مجاريه النهار. محاضرات في تاريخ العرب ١٤/١ ط ٣

أما طريق الشام فيمر بوادي سرحان متاخماً لساحل البحر الأحمر ،
وهناك خطوط أخرى معظمها ساحلية حول الجزيرة ، وبعضها داخلية
تخترق الجزيرة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي متابعة للوحدات
الوسطى ومبتعدة عن مناطق الجفاف والربع الخالي على الخصوص^(١) .
نبات الجزيرة :

إن طبيعة المناخ هدم بما فيها من جفاف الهواء وقلة المياه وملوحة
التربة ، لم تساعد النباتات على التناثر والازدهار والانتشار ، ولذلك
توزعت النباتات في الأماكن الخصبة ذات العيون والأمطار . وأهم
نبات الجزيرة هو النخل الذي يكثر في الحجاز ، وتمر النخيل أو
البلح هو أهم طعام البدوي وأكثره ، فإن قوام الحياة في البادية هو
التمر واللبن وفي القليل لحم الأبل ، فالتمر هو الطعام الصلب الوحيد
الذي يتناوله أبناء الجزيرة^(٢) ، وبحسب البدوي الأسودان : الماء
والتمر ، ونوى التمر يسحق ويصنع منه قرص لعلف الأبل ، ومنه
يصنع النبيذ وخاصة في الطائف .

أما الحبوب فيزرع الشعير في وادي القرى وفدك وخيبر
والمدينة ، وتكثر الحنطة في اليمن واليامة وبعض الواحات ، وتزرع
الذرة في عسير ، والأرز في عمان والحسا .

وموطن الأفاوية في اليمن ، كالمز والمز المكوي وأنواع البنخود
والطيب . وينمو شجر اللبان على الهضاب المحاذية للساحل الجنوبي
ولا سيما في مهرة . ويكثر الصمغ في عسير ، أما شجرة البن فقد

(١) تاريخ العرب - فيليب حقي ٢١/١

(٢) عيون الأخبار - ابن قتيبة ٢/٢١٣-٢٠٩ هـ القاهرة ١٩٣٠ .

دخلت اليمن من الحبشة في القرن الثامن الهجري وتسمى خمر الاسلام^(١).

وتنمو في الجزيرة انواع اخرى من النباتات منها الطلح الذي ينتج الصمغ العربي ، والغضا الذي منه الفحم الجيد ، والسمح الذي تطحن حبوبه فتصنع منه العصيدة . أما الكروم فوطنها المشهور الطائف حيث اشتهرت بالنبيذ المعروف بنبيذ الزبيب . وفي المدن الساحلية وبعض الواحات تنمو الفواكه كالرمان والتفاح والشمش والموز والبرتقال والليمون الحامض والبطيخ وكذلك قصب السكر^(٢).

وتنمو الاشجار الصحراوية في بادية نجد كالطلح وهو شجر عظام ترعاه الابل ، والدوم وهو شجر المقل ، والسدر البري أو الضال ، والسلم والأرطى ، وهناك اشجار ضخمة من الأثل وهي الطرفاء والشوحط والشریان والنبع والغرب ، ويتخذ من هذه الاشجار القسي والسهام ، اما الأراك فهو شجر من الحمض تتخذ منه المساويك وتتفكه به الابل بعد أن تشبع لما فيه من ملوحة وحرارة والأراك ثمر يدعى الكباث . ومن نبات البادية ايضا الشيح والقيصوم والعرمض وهو صغار شجر الأراك والسدر ، ومن مراعي الابل المذيذة السعدان والبرسيم وهو حب القمطر وهو نوع من كراث المائدة وكذلك الفقع وهو نوع من الكماة^(٣) ومن الاصباغ النيل.

(١) السكواكب السائرة - نجم الدين القزويني ١١١/١ ط بيروت ١٩٤٥

(٢) تاريخ العرب - فليبي حتى ٢٢/١-٢٣

(٣) تاريخ الجاهلية - عمر فروخ ص ٣٣ ط بيروت ١٩٦٤

والورس والخنا... ويستعمل الحنظل وهو نبات صغير مرّ يشبه
البطيخ، لذيغ الجلد وكذلك القرظ وهو ورق شجر السلم، ويستعمل
الاشنان في التنظيف كالصابون، ويستعمل نبات السنا دواء مسهلاً.
ومن النباتات الطيبة الرائحة الآس والعراو وهو بهار البر - زهر بري
أصفر - والخزامى وشقائق النعمان وغيرها .



الفصل الأول

عرب الجاهلية

أريد هنا أن أقف عند نقطتين أراهما على قدر كبير من الأهمية ،
أولاهما : الجاهلية حدّها ومفهومها . والثانية : أهل هذه الجاهلية من
عرب وأعراب والفرق بينهما ، فقد اضطرب مفهوم الجاهلية في كثير
من كتابات الكتاب والباحثين ، وراح فريق من الناس يخلط في
هذا المفهوم ويضيف اليه ما ليس له ، ويصمّه بما ليس فيه ، حتى غدت
صورة الجاهلية في الأذهان صفة للجهل والجور والبدائية . ولا شك
أن نمة كثيراً من الدوافع املت على الناس أن يفسروا الجاهلية هذا
التفسير ، من ذلك العصبية الدينية والمصيبة العرقية .

وكذلك اضطرب الناس وخلطوا بين معنى العرب والأعراب ،
فنجد أن اسم الأعراب ومدلوله يطلقان على العرب ، ومعنى العرب
ينصرف إلى الأعراب والبدو الجفاة . وهذا الخلط قديم ، نجده عند
ابن خلدون وغير ابن خلدون ممن كتبوا عن العرب وبحثوا في حياتهم ،
سواء في ذلك عرب الجاهلية أم عرب الإسلام .

وأحاول هنا أن أحدّد هذه المفاهيم وأوضح دلالاتها على ضوء
النظرة الإسلامية مستأنساً بآراء الكتاب القدامى والمحدثين :

الجاهلية :

يطلق لفظ الجاهلية على عهد ما قبل الاسلام، وقد تفنن المتعصبون من المسلمين وغير المسلمين في ذمها واطلاق شتى النعوت التي يراد بها الانتقاص والتهوين من امر ذلك العهد حتى ليخيل للناظر في اقوالهم ان الباطل كان سمة العصر والضلال طابعه فقالوا: انه الزمان الذي كثر فيه الجهال^(١)، وهو عهد الجهل الذي لا علم فيه أو حرم اهله من أن يجيدوا ضربا منه وان قل شأنه، وقد قسم الألوسي ذلك الجهل الى جهل بسيط وجهل مركب فقال: (فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطا فإن اعتقد خلافة فهو جاهل جهلا مركبا، فإن قال خلاف الحق عالما بالحق أو غير عالم فهو جاهل ايضا كما قال تعالى: « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا كان أحدكم صائغا فلا يرفث ولا يجهل)^(٢) ومن هذا قول عمرو ابن كلثوم في قصيدته :

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليتنا
أي لا يسفه احد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم أي نجازيهم بسفهم جزاء يربى عليه... وكذلك من عمل الحق فهو جاهل وان علم انه مخالف للحق كما قال سبحانه: « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » .

فعنده ان الجاهلية العهد الذي فيه الجهل وفيه الضلال الذي هو

(١) محمود شكري الألوسي - بلوغ الادب ١٥/١

(٢) المصدر السابق ١٦/١

عدم الحق وعدم معرفة الحق ، ولذلك يفسر وفق هذا الفهم قول الله تعالى في الجاهلين وقوله في البصالة وان كانت الآيتان لا يراد بهما المعنى الذي ذهب اليه الالوسي ، وكذلك توجيهه لبيت عمرو ابن كلثوم الى السفه مع ان البيت ينصرف الى الظلم . وقد تفنن كذلك الاستاذ احمد امين في اختيار اقصى الالفاظ وأوحشها لرجم الجاهلين : بالسفه والغضب والأثفة فيفسر الآية الكريمة : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »^(١) وفق معناه الذي يريد ، ولا يفوته ان يستفيد من قول عمرو ابن كلثوم :

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ليصف حياة العرب في ذلك العهد بانها مصداق للكلمة (جاهلية)
فهي انفة وخفة وحمية ومفاخرة وسفه .^(٢)

وكذلك ذهب كاتب مقال مادة جاهلية في دائرة المعارف الاسلامية فيزعم ان المعنى الدقيق لكلمة (جاهلية) هو زمن الجهل ... اما الاسلام فهو زمن النور والمعرفة ، وجهل ضد علم ووردت بهذا المعنى كثيرا في اللغة القديمة ووردت اكثر في الازمنة القريبة من الاسلام من ذلك قول عنتره في معلقته :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك

ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

على ان واقع حال العرب قبل الاسلام يفند ما ذهب اليه اولئك

(١) سورة الفرقان ٦٣

(٢) احمد امين - فجر الاسلام ص ٦٩

جميعا ■ فليس من المعقول ان يقصد بالجاهلية معناها اللفظي الذي هو الجهل ضد العلم والفهم ، فيذهب اولئك يتصيدون كل ما ورد من مادة جهل في الشعر والقرآن والحديث وكلام العرب ، لأن من كانت صفاتهم صفات العرب قبل الاسلام ، لا يصح ان يكونوا ابنا جاهلية جهلا . وعندهم الحضارة العريقة الممتدة في اعماق الزمان ، ولهم ذلك الفن القولي الممتاز متمثلا في الشعر والخطابة والامثال والرسائل والحكم الماثورة . وفي اكبر الظن ان الكلمة حين اطلقت في اول الامر اريد بها الدلالة على شيوع عبادة الأوثان بينهم ، فلا شك ان من العرب من كان يركع لصنم وينحدر لنصب ، ومنهم من عبد كوكبا او اعتنق المجوسية والصابئية دينا ، او كانوا من اصحاب الدهر ، وقد اشار القرآن الكريم في عدة مواطن لذلك ، فالجاهلية على هذا اذا قصدت فان معناها ينصرف الى تلك الوثنية السائدة قبل شريعة الاسلام .

ويذهب معنى الجاهلية من جهة اخرى - غير الدين - الى تلك الحالة الخلقية التي كانت حاضرة في نفوس العرب ، والاعراب منهم بصورة خاصة ، جماعها الغلو في تقدير الامور والاسراف وسرعة الغضب ■ فقد كان من العرب من يفرط في الكرم حتى يغدو سرفا وتبذيرا ، وينلو في الشجاعة حتى تعود حماقة وتهورا ، ويجاوز معنى النجدة الى الظالم . فالكلمة اذن تنصرف الى معنى الجهل الذي هو مقابل الحلم وليس ضد العلم ، ومن هذا قول الشنفرى في لامية العرب :^(١)

(١) اعجب العجب في شرح لامية الرب - الزنجري ص ٤٨

ولا تزدهى الأجمال حلمي ولا أرى

سؤولا بأعقاب الاقاويل أغل

والى هذا المعنى يذهب عمرو بن كلثوم في معلقته في البيت
المقدم ذكره :

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وقد يتضمن معنى الظلم ايضا . ويمرر هذا المعنى الذي نريد
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من استجمل مؤمنا فعليه
اثمه) قال ابن الاثير يبيته : (اي من تحمل على شيء ليس من خلقه
فيفضبه فانما اثمه على من احوجه الى ذلك) (١) .

وقد غدت الجاهلية تنير في نفوس المساكين شعورا بكرامية عهد
وثنى مملوء بالظلم والآثام ، فهذا الرسول الكريم يسمع ابا ذر يعير
رجلا بأمه فيقول مؤنبا ومعاتبا : (انك امرؤ فيك جاهلية) (٢) اي
فيك روح الجاهلية وطيشها ، تنضب فلا تعلم ولا تصبر ولا تسامح ،
على انه من الحق ان نذكر ان العهد الجاهلي عرف كثيرا من الناس
وصفوا بالحلم والصبر والتسامح والحكمة ، ولا يبعد عنا ذكر قيس
ابن عاصم وحلمه ، وهرم بن سنان وطيبته وزهير بن ابي سلمى وحكمته
وغيرهم كثير ، حتى ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليذكر السجايا
النبيلة والحيا والمروءة التي تمثلت بأعرابي جاهلي مثل عنترة ، فيقول :
(ما وصف لي اعرابي قط فاحببت ان اراه الا عنترة) وكان الرسول
الكريم قد انشد قول عنترة :

(١) النهاية في غريب الحديث ١٩٢/١

(٢) المصدر السابق

ولقد ائبت على الطوى واظله حتى اهل به كريمة الما كل^(١)
وفي عموم القول ان المراد من معنى الجاهلية ما يتمثل في الذهن
من مفهوم ديني ، فعهد الجاهلية كان قائما على الشرك والوثنية وفيه
ضلال وظلم وظلمات ، واما العهد الاسلامي فعلى نقبضه ، هو هداية
ونور ، ومصدق ذلك قول الله تعالى : (ليخرجكم من الظلمات الى
النور)^(٢) وقد وردت (الجاهلية) في القرآن الكريم ويراد بها الخط
من القيم الخلقية والاعتقادية لذلك العهد ، قال سبحانه : (يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية)^(٣) وقوله : (افحكم الجاهلية يبون ومن
احسن من الله حكما لقوم يوقنون)^(٤) وقوله : (وقرن في بيوتكن
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى)^(٥) وقوله : (اذا جعل الذين كفروا
في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)^(٦) وقريب من هذا قول الرسول في
حديث الافك : (ولكن اجتمعت الحمية)^(٧) .

اما فترة الجاهلية فيحدددها بعض المسنشرين بانها : (الاسم الذي
يطلق على ما كانت عليه جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام » او بعبارة
اخص ، الاسم الذي يطلق على الفترة التي خلت من الرسل بين عيسى
ومحمد)^(٨) وقد اخذ المكاتب هذا القول من الآلوسي^(٩) دون اشارة

-
- (١) الاغانى ٢٤٣/٨
 - (٢) الحديد ٩
 - (٣) سورة آل عمران ١٥٤
 - (٤) المائدة ٥٠
 - (٥) الاحزاب ٣٣
 - (٦) انفج ٢٦
 - (٧) النهاية في غريب الحديث - ابن الاثير ١/١٩٢
 - (٨) فير - دائرة المعارف الاسلامية مادة جاهلية
 - (٩) الآلوسي - بلوغ الارباب ١/١٥٠

لذلك ويؤيد الألوسي بانها أيام الفترة (وهي الزمن بين الرسولين وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا ، وعلى ما قبل الفتح ، وعلى ما كان بين مولد النبي والبعث) وفي قول عن ابن خالويه : ان هذا اللفظ حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . ويحدد نهاية هذا العهد فتح مكة لا البعثة^(١) .

على اننا اذا اخذنا الجاهلية على انها نزعات ومثل وتقاليد ، فانها قد استمرت في نفوس كثير من المسلمين بعد فتح مكة ، وقد عادت جذعة فتمثلت في الردة وفي العهد الاموي وما وليه من عهود ، بل نستطيع القول ان كثيرا من عاداتنا ومآثينا الحاضرة إن هي الا من آثار الجاهلية ، اما ضابط آخر العهد فتح مكة فيعني ان الاسلام قد تمكن من القضاء على اقوى خصومه وأعظم خطر يهدد الدين ومثله العليا .

(٢)

العرب والاعراب :

جاء الاسلام دين بشري وهدى وإيمان ، جاء رحمة للناس وأمان ، فقد ايقظ الجزيرة العربية من غفوة المت بها ، فنهضت بالاسلام لتلبس - وتلبس الناس معها - ثوب العدل والخير والإيمان ، فجدد لها عمرها ورسم لها طريقها وكتب لها عهدا مجيدا . وعلينا هنا ان نتيين اهل ذلك العهد الذين ضمهم الاسلام وهداهم سواء السبيل ، ونجملو لبنا

(١) الألوسي - بلوغ الادب ١/١٠٥

حاصلا وغشاوة مربكة ، ان نفرق بين كلمتين كثيرا ما يقع الخلط
بينهما والوم في استعمالهما ، والكلمتان هما : العرب والاعراب ، فاحد
كل منهما ؟

يستعمل القدماء احيانا كلمتي العرب والاعراب في حالة ترادف ،
وترد الواحدة مكان الاخرى ، وقد تعمم كلمة العرب فيراد بها الاعراب
ايضا ، قال الجوهري : (العرب جيل من الناس وهم اهل الامصار ،
والنسبة الى العرب عربي والى الاعراب اعرابي ، والذي عليه العرف
العام اطلاق لفظ العرب على الجميع)^(١) ويقول الآلوسي عن ابي
المباس احمد بن عبدالله : (ان العرب اهل الامصار والاعراب سكان
البادية وفي العادة يطلق لفظ العرب على الجميع)^(٢) .

ويكاد الاجماع ينعقد على ان العرب هم سكان الحاضرة
والاعراب هم سكان البادية ، فيذكر الآلوسي ان شيخ الاسلام
احمد بن تيمية في كتاب (الاقتضاء) يقول : (ان لفظ الاعراب
هو في الاصل اسم لبادية العرب ، فان كل امة لها حاضرة وبادية ،
فبادية العرب الاعراب ، وقد يقال : ان بادية الروم الارمن ،
وبادية الفرس الاكراد ، وبادية الترك التتر ونحوهم^(٣) . ويذكر
ايضا قول اهل التفسير بأن العرب سكان المدن والقرى ،
والاعراب سكان البادية من هذا الجليل أو مواليهم . ويوضح هذا
ويحدده ما جاء في التنزيل قوله تعالى : (وجاء المحذرون من الاعراب

(١) الصحاح مادة عرب وكذلك القاموس المحيط للفيروز البغدادي

(٢) بلوغ الارب ١/١٢

(٣) قصص المصدر والنسبة

ليؤذن لهم) ^(١) وفي قوله تعالى: (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) ^(٢) فبدوية الاعراب واضحة بانهم (حولكم) ومقابلتها بـ (اهل المدينة) تعين ذلك.

ومن الطبيعي ان العقلية البدوية لا يمكن ان تدرك وتستوعب الدين الجديد بسهولة ويسر ، لطبيعة الحياة القاسية التي يحياها الاعراب ، ولذلك كان موقفهم من الدعوة موقف المستخف غير الملتزم بتعاليم الاسلام . ولذلك كثر المردون بينهم والناكثون بالعهود والذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ، والقرآن يحكم فيهم بقوله : (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مترما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء . والله سميع عليم) ^(٣) .

هؤلاء الاعراب وقفوا من الدين الاسلامي بالذهنية المتعصبة المغلقة التي لا تدرك معنى الدين وامر الرسالة وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيلهم الجهد والعناء ، فكانوا يمنون عليه اسلامهم ، قبل : قدم عشرة رهط من بني اسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول سنة تسع للهجرة فيهم حضرمي بن عامر وضرار بن الازور ، فقال حضرمي : (يا رسول الله أتبتاك نشد روع الليل البهيم في سنة شهباء . ولم تبعث الينا بعثا) فنزل فيهم قوله تعالى : (يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تُنْمُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَنْ

(١) سورة التوبة ٩٠

(٢) التوبة ١٠١-١٠٢

(٣) التوبة ٩٧-٩٨

عليكم أن هذا لكم للإيمان أن كنتم صادقين^(١) ، وقد دخل كثير من الأعراب في الإسلام لحاجتهم إلى العطاء لأروية في الإيمان، فقد جاء في الأخبار: أن نفرا من بني أسد ثم من بني الحلاف بن الحارث قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدية ، فآظفروا شهادة أن لا إله إلا الله ، ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وافتسدوا طريق المدينة بالعدوات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا ينفدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : (أتنتك العرب بأنفسها على ظهري - ورواحلها) وجشناك بالأنقال والعيا - ال والله أدري - يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ...) ويريدون الصدقة ويقولون : اعطنا . فأنزل الله سبحانه فيهم : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الآيات^(٢) وقد كانت الأعراب تبطل على الرسول ولا تحببه إذا دعاها إلى الجهاد ، فكان قد استنفرهم إلى الحديبية فتخلفوا عنه ، وخرج مع رسول الله المهاجرون والأنصار ومن لحق به من العرب^(٣) .

وما كانت الأعراب - إلا القليل - تنظر إلى الرسول النظرة الدينية التي تراها العرب ، بل كانوا يعدونه رجلا أوتي السلطان على العرب ، فيطيعونه على أنه رئيس مقتدر لأنبي مرسل . وفي هؤلاء الأعراب كان المتعصبون من الكتاب ومن المستشرقين

(١) المجرات ١٧ وانظر التوري - نهاية الأرب ١٨ / ٢٠

(٢) المجرات ١٤ ونهاية الأرب ١٨ / ٢١

(٣) المصدر السابق

يوسمون القول والتقول حتى يسحبوا مفهوم الاعراب على كل العرب ،
وهؤلاء ، غير اولئك . ومن هنا كان غلو أوليري^(١) وابن خلدون^(٢)
وغيرهم ممن اعتبروا الاعرابي بوصفه الذي جاء في القرآن ممثلاً لمواطن
الجزيرة العربية كلها « غير ملتفتين الى سكان الامصار والقرى ،
واهل الدعوة والحضارة ، وحلة العلم والعمران من العرب .

على انه حتى في اولئك الاعراب من يؤمن بالله خالص الايمان
وينفق في سبيله مبتغياً رحمة ورضوانه ، وفي هؤلاء ، كان قول الله
تعالى : (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق
قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في
رحمته ان الله غفور رحيم)^(٣) .

ومهما يكن من شيء ، فقد كان العرب المسلمون ينظرون الى
الاعراب المشبهين نظرة حذر وارتباب ، وكانوا لا يرتضون لاعرابي
تحضر ان يتبدى ، من ذلك ما روى عن النابتة الجمدي حيث اشتاق
الى قومه فدخل على عثمان بن عفان فقال : (استودعك الله يا امير
المؤمنين ، قال : وابن تريد يا ابا ليلى ؟ قال : الحق يا بلي فاشرب من
البانها ، فاني منكر لنفسي ، قال عثمان : اتعربا بعد الهجرة يا ابا ليلى ؟
أما علمت ان ذلك مكروه ؟ قال : ما علمته ، وما كنت لأخرج حتى
اعلمك)^(٤) . هذه النظرة غير المطمئنة الى الاعراب فسحت مجال

(١) انظر تفصيل رأيه في غير الاسلام ص ٢٣

(٢) المقدمة ص ١٢١-١٢٢

(٣) التوبة ٩٩

(٤) الاغانى ٩٠/٥ ط الدار وطبقات الشراء ص ١٠٦-١٠٧

القالاة حول الاعراب وعليهم فهو أناس من شأنهم ، واسرف آخرون في وصفهم بكل منقصة وتوحش وطيش وسفه ، وهذا ضرب من التجني لا يتفق والنظرة العلمية المحصنة ، وإذا صدق بعض ذلك الوصف على قسم من القبائل ، فإن التعميم لا يصح ولا يصدق ، وخاصة إذا عرفنا أن كثيرا من أولئك الاعراب من سكن الحواضر والقرى ، وكان للقبيلة الواحدة حاضرة وبادية ، والتمايز حاصل بين سكنة الحواضر وسكنة البوادي ، وكثيرا ماتحيا القبيلة الواحدة حياتين : يستقر بعضها المدر فيتحضر ويسكن بعضها ظواهر القرى فيكون في أهل الدير متبديا ، مثال ذلك قريش حيث يذكر عنها صاحب اللسان : (قريش الأباطح اشرف واكرم من قريش الظواهر ، لأن البطحاويين من قريش حاضرة وهم قطان الحرم ، والظواهر اعراب بادية ، وضاحية كل بلد ناحيتها البارزة)^(١) . وكذلك جهينة كان منها من يسكن في الدير دون المدر ، في نواحي جيلي وضوى وعزور^(٢) ، بينما يسكن قسم آخر منها المدر في ينبع : (وهي قرية كبيرة غناء ... فيها عيون غزيرة الماء) ويسكن قسم ثالث منها الصفراء : (قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها)^(٣) .

وأولئك الذين سكنوا البادية لم يكونوا كلهم اعرابا بعيدين عن الايمان موغلين في الصحراء قست قلوبهم وغلظت اكبادهم ، بل منهم من كانوا قريبين من المدن ، مطيقين بها متأثرين بعاداتها آخذين

(١) لسان العرب - ابن منظور مادة (ضحا)

(٢) هرام بن الاصم - أسماء جبال تهامة وسكانها ص ٧

(٣) المصدر السابق ص ٨

من حضارتها بسبب، فقد ذكر عرام بن الاصبغ في حديثه عن السوارقية قال: (قرية غنا. كثيرة الامل ... كان لبي سليم فيها مزارع ونخل وفواكه كثيرة ... وم بادية الامن ولد بها فانهم يابتون بها والآخرون بادون حوالىها ويمرون طريق الحجاز ونجد في طريق الحجاج)^(١).

وكان الرسول الكريم يفرق بين الاعداء الموعلين في الصحراء والاعداء المقيمين في الضواحي والمستجيبين لدعوة الاسلام ، فقد روى عن ام المؤمنين عائشة انها قالت: (لما قدمنا المدينة نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقبل هدية من اعرابي ، فجاءت ام سنبلة الاسلامية بلبن قد خات به علينا قايما تقبله ، فنحن على ذلك الى ان جاء رسول الله ومعه ابو بكر فقال : ما هذا ؟ فقلت : يا رسول الله هذه ام سنبلة اهدت لنا لبنا وكنت نهيتنا ان نقبل من احد من الاعداء شيئا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوها فان اسلم ليسوا باعداء هم اهل باديتنا ونحن اهل قاريتمهم ، اذا دعونا هم اجابوا ، وان استنصرونا هم نصرونا)^(٢).

يتعين من هذه النصوص ان المقصود بالبادية انما هو ظاهر القرية او ضاحيتها وما احاط بها ، وان كثيرا من القبائل كانوا يقطنون في هذه البوادي قريتين من الحواضر متصلين بها مختلطين بسكانها ، وم غير تلك القبائل الموعلة في الصحراء البعيدة عن العمران الذين قست قلوبهم فوصفهم القرآن الكريم بشدة الكفر والنفاق .

(١) نفس المصدر ص ٦٥

(٢) ابن سعد - الطبقات الكبير ٢١٥/٨ طريد

ومن كل ذلك يزداد حذرنا وارتبابنا من الاحكام التي تطلق
على العهد الجاهلي، والتي تصوره على انه عهد جهالة وبداعة واعرابية
بعيدة عن الحضارة والارتقاء، من غير مراعاة للفروق الواسعة بين
البيئات الصحراوية وبيئات البادية القريبة من المدن او القرى، والتي
كانت متصلة بهـالم المدنية لذلك العهد، مواكبة لركب الحضارة،
مستجيبة لداعي الاسلام.



الفصل الثاني

الحياة السياسية

(١)

القرن السادس هو الزمن الذي مرت به أحداث العصر، وإن لم تقف عنده أو تبدأ به. وبإدعية نجد هي مسرح الأحداث التي تدور حولها سياسة مصر وتأثر بها كثرة القبائل التي سكنت هذه المنطقة، وإن كان أثر الأحداث يتجاوز هذه البقعة ويمتد منها إلى الجوانب المحيطة بهذا الإقليم، حيث الحجاز، وبلاد الشام، والعراق، والبحرين، واليمن.

وإذا ألقينا نظرة على مصور هذا العصر وتوزيع القبائل فيه فإذا نجد:

أن جغرافي العرب يتفقون على تقسيم الجزيرة العربية إلى أقسام خمسة: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن. وإن اختلفوا في ضبط وتحديد هذه المناطق^(١). وقد توزعت القبائل - بعد

(١) ينظر تفصيل ذلك في صفة جزيرة العرب - المحدثاني ٢٨ وما بعدها، ومعجم ما استعجم للبكري ٧/١ وما بعدها (الطبعة ١٩٤٥) ومعجم البلدان - ياقوت ٧٦/٢. ومن الكتب الحديثة الجديدة تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي ٨٦/١ - ١٤٧.

المجرات القديمة^(١) - على هذا الشكل :

١ - القبائل العدنانية :

زلت قریش في مكة وما جاورها^(٢) . ومزينة في جبال رضوى
وقدس وآرة وما حولها من ارض الحجاز^(٣) وسكنت قهم وعدوان
جبال السراة في الحجاز ايضا ، وتجاورهم قبيلة هذيل^(٤) . واستقرت
ثقیف في الطائف بعد اجلاء بني عدوان وبني عامر منها^(٥) . اما ديار
هوازن فكانت بين غور نهامة الى ما والى ابشة وناحية السراة وحنين
واوطاس^(٦) ، وزل الحجاز من القبائل القيسية ايضا ، بنو هلال واكثر
بني سليم^(٧) وكان منزل كنانة في ارض نهامة^(٨) .

اما في نجد : فبنو عامر بن صعصعة قبيلة ابيد ، وديارهم غربي نجد
مما يلي الحجاز^(٩) ، وكانوا اول امرهم يشتون في نجد ويصيفون في
الطائف ، فلما قوى امر ثقیف اجابهم عن الطائف^(١٠) ، وديار بني كعب
ابن ربيعة بالفليج وباديتهما^(١١) ، وغطفان موضعها بالحاجر^(١٢) ، ومنازل

(١) ذكر المؤرخون مجرات قديمة قعدنانيين على اثر غزو ملك آشور بلاد العرب

ومجرة القحطانيين المروفة في اليمن - الاغانى ٢٨/١٣ ط الدار ومجمع البكري ١٩/١

(٢) السيرة النبوية - ابن هشام ١٢٤/١ ط القاهرة ١٩٥٥

(٣) مجمع البكري ٨٨/١ ط القا ١٩٥٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

(٤) مجمع البكري ٨٨/١

(٥) نفس المصدر ٧٧/١

(٦) مجمع البكري ٨٧/١

(٧) مجمع البلدان - ياقوت ٢٥٠/٢

(٨) مجمع البكري ٨٨/١

(٩) مجمع البكري ٩٠/١ وان كانوا قد تنقلوا في اكثر من موضع

(١٠) نفس المصدر ٧٧/١

(١١) نفس المصدر ٩٠/١

(١٢) شرح ديوان زهير ص ٣٢٦ ط دار الكتب

بني اسد مجاورة لثنازل طىء القحطانيين^(١) ، وهؤلاء الاخيريون بين جبلي أجأ وساسى ، وثرلت ضبة وتيم^(٢) بلاد نجد ، ثم انحدروا حتى خالطوا اطراف هجر ، وثرلوا ما بين اليمامة وهجر ، ومضى بنو سعد ابن تيم فحلوا رمل يبرين وخالطوا عبد القيس في بلاد قطر ، وذهبت طائفة منهم الى عُمان^(٣) .

اما في اليمامة ، فقد ثرل بنو ياهلة بن اعصر ، وبنو نمير^(٤) ، وكذلك بنو تيم^(٥) ، اما حاض - رة اليمامة (الحجر) فهي لبني حنيقة^(٦) ، وبعد حرب بكر وتغلب انتشرت بكر وعترة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين حتى اطراف العراق^(٧) . اما قبائل ربيعة : فقد ثرلت عبد القيس البحرين بعد ان اجلت قبيلة اياد عنها ، وسار فريق من عبد القيس الى عمان وجاوروا الازد في بلادهم^(٨) . وثرلت قبيلتا تغلب والنمر بن قاسط حول نهر الفرات من ارض الجزيرة (جزيرة أقور)^(٩) ، ونزلت اياد - بعد أن اجلتهم عبد القيس عن موطنهم - العراق في سنداد وعين أباغ ، واسطدموا بالفرس في معارك كان من نتائجها أن تشتت شملهم ، فلحق فريق منهم بالشام ودانوا للفساسنة ، ودخل فريق آخر بلاد الروم^(١٠) .

(١) ديوان عبيد بن الاوس ص ٨

(٢) ، (٣) معجم البكري ٩٠/١ والاغاني ١٠/١٩ ساسي حول ونوب تيم على البيت الحرام

(٤) معجم البكري ٩٠/١ (٥) معجم البكري ٨٨/١

(٦) معجم البكري ٨٥/١ ومختصر كتاب البلدان ص ٢٨ م يزيد سنة ٨٨١ م

(٧) معجم البكري ٨٦/١

(٨) البيان والتبيين ١٢٩/١ والبكري ٨٢/١

(٩) البكري ٨٦/١

(١٠) الاغاني ٢٣/٢٠ ط ساسي ، انساب الاشراف ٢٥/١ ، البكري ٦٧/١ .

٢- القبائل القحطانية :

أما القحطانيون فأصلهم من الجنوب ، وهاجروا أكثرهم الى الشمال ،
الابقية منهم بقيت في اليمن وما حولها ، فأما الذين هاجروا الى
الشمال واستوطنوا هناك فمنهم : كندة التي رحلت الى نجد وأسست
لها إمارة في شمالي نجد وبادية الشام ودومة الجندل^(١) ، والازد التي
تفرقت من اليمن فنزل فريق منها البحرين ، وعرفت بـ (تنوخ) ،
وصعدت الى جنوبي العراق وأسست - لهم أم عشائرهما - دولة المناذرة
في الحيرة^(٢) .

واستوطن فريق منها بلاد الشام - وهم آل جفنة بن عمرو بن عامر -
فغلبوا الضبجاعة وأقاموا دولة الفساسة^(٣) ، أما قبائل الأوس
والخزرج - وهم بنو ثعلبة بن عمرو مزريقاء - فنزلوا يثرب ، وسكن
بنو حارثة بن عمرو يَمَرْ الظهران بمكة وم خزاعة ، ونزل فريق من
الازد عُمان فعرفوا بأزد عُمان ، وفريق آخر استوطن السراة ،
فعرفوا بأزد السراة أو ازد شنوءة^(٤) ، وحلت طلي ، في سُمَيْر وقَيْد في
جوار بني أسد ، ثم غلبتهم على جبلى اجأ وسلمى^(٥) ، وتفرعت لهم الى
فرعين الاول نزل العراق ، وهم آل نصير بن ربيعة الذين آل الامر
اليهم بعد جذيمة الابرش ، ومنهم كان امراء المناذرة في الحيرة^(٦) .

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/٢٨٨ ، ديوان عبيد بن الارض ص ٨ .

(٢) تاريخ الطبري ١/٤٢٧ ، تاريخ بني ملوك الارض ص ٩٤ .

(٣) السيرة النبوية ١: ١٣٠ .

(٤) الحيرة ١/١٢١ وفتوح البلدان ١/١٥٠ وتاريخ ابن خلدون ٢/٢ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢-٢٣ .

(٦) تاريخ ابن خلدون ٢-٣٦ .

والفرع الثاني من لحم نزل جنوبي بلاد الشام في فلسطين^(١). وكذلك نزلت جذام جنوبي الشام في الارض الممتدة من حدود ايلة - العقبة - الى ينبع بحاذية لساحل البحر الاحمر^(٢)، ونزلت الشام ايضا عاملة (اخت لحم وجذام) جنوبي البحر الميت^(٣).

وفي الحجاز نزلت قبيلة خثعم ما بين وادي بيشة وتربة وما والاها، وجاورتها قبيلة بجيلة^(٤). وسكنت قبائل سعد هذيم - عذرة وحوتكة وجهينة - في وادي القرى^(٥). وانتشرت قبيلة بلي بين شمالي يثرب الى تباه فالعقبة^(٦)، وسكن بنو كلب دومة الجندل وبادية السبأ^(٧). اما بهراء، فنزلت بأعالي الشام بين حاب وحما^(٨).

أما القبائل القحطانية التي بقيت مقيمة في مواطنها، فأهملها همدان ومنزلها شرقي بلاد اليمن شمالي صنعاء^(٩). ومذحج ومنزلها في تليلك ونجران ونواحيها^(١٠). والاشعرون شمالي زبيد، وكذلك قرب عك^(١١)، ومنزل مهرة بالشعر من بلاد اليمن^(١٢). وكانت قبائل حمير تنزل المنطقة الغربية لظفار حتى عدن وصنعاء^(١٣).

-
- (١) صفة جزيرة العرب ١٢٩ (٢) تاريخ ابن خلدون ٣٧/٢
 - (٣) المصدر السابق والصفة وصفة جزيرة العرب ص ١٢٩
 - (٤) معجم البكري ١٠/١
 - (٥) المصدر السابق ٣٨/١ وتاريخ ابن خلدون ٢١/٢
 - (٦) معجم البكري ٩٠/١ وابن خلدون ٢١/٢
 - (٧) معجم البكري ٥٠/١ وابن خلدون ٢٥/٢
 - (٨) الاغانى ٩١/١٥ ط ساسي
 - (٩) صفة جزيرة العرب ص ١٠٩ وابن خلدون ٢٩/٢
 - (١٠) معجم البلدان - ياقوت ٧٦/٢ وابن خلدون ٣٢/٢
 - (١١) ياقوت ٧٦/٢ وابن خلدون ٣٢/٢
 - (١٢) معجم البكري ٢٧/١
 - (١٣) ابن خلدون ١٥/٢ أما قبيلة قضاة من حمير فكانت في الشام ومنهم كاذ الضجاعة الذين ملكوا الشام قبل الفساسة . تاريخ ابن خلدون ٢٤/٢

(٢)

على هذا الشكل استقرت القبائل العربية في الجزيرة وتجاور العدنانيون والقحطانيون ، ولم يكن لهذه القبائل دولة تضمهم ، ولا نظام موحد يسودهم ، بل كانت كل قبيلة تكون وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة ، وقد تجوز أو ليري فأعطى القبيلة مفهوم الدولة^(١) . وقوام القبيلة الاسرة ، وما القبيلة الا اسرة كبيرة تتضخم فتكون قبيلة ، وتنشطر القبيلة الى شطرين أو أكثر ، ويشمل كل شطر سلالة احد ابناء الجد الاكبر وتسمى باسمه ، وهكذا تستمر القبيلة في التضخم والانقسام على هذا المنوال^(٢) . فرابطة القبيلة هي رابطة النسب والدم ورابطة الاب الكبير الذي ينتمون اليه ويعرفون باسمه ، وقد تكون القبيلة منسوبة الى الام - وهذا في القليل - مثل مزينة وبجيلة وخندف .

وهذه القبائل متشابهة في تكوينها ونظامها ، فكل قبيلة تقوم على اساس اشتراك ابنائها في الاصل الواحد والموطن الواحد ، وقد يكون هذا الموطن غير مستقر متنقلا مع المراعى ، وتجمع افراد القبيلة تقاليد واعراف تتمسك بها وتحترمها ، والرباط الاقوى في القبيلة هو المصيبة ، والمصيبة كما يعرفها ابن خلدون (النصر على ذوى القربى واهل الارحام ، ان ينالهم ضم او تصيبهم هلكة)^(٣) .

(١) أساما اوليري : Patriarchal State

Oleary : Arabia before Mohammad . P. 8.

Smith : Kinship and Marriage in Early Arabia . (٢)

P. 3-4 .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٨

قالفرد في القبيلة حريص على هذه الرابطة ، عامل من اجلها ، باذل في سبيلها ما يملك حتى دمه . وافراد القبيلة متضامنون كلهم في المصائب والمرات ، والجريرة التي يجنيها الفرد يتحملها المجموع ، وقد آمنوا بهذه الفكرة التضامنية في الخير والشر حتى ظهرت في امثالهم فقالوا : « في الجريرة تشترك المشيرة »^(١) .

وللقبيلة رئيس او شيخ يتزعمها ، ويكون عادة من ذوى السن ، والخبرة ، والحكمة والحلم ، وسداد الرأي وبعد النظر ، والثروة ، والشجاعة ، والكرم ، وطلاقة اللسان بحيث يحوز رضا القبيلة وعجابها « وينال احترامها » فالقبيلة ترتضى لها رئيسا او شيخا تتوافر فيه صفات الرجولة والبطولة ، والنجدة ، والكرم ، وعراقة الاصل ، وصفاء النسب . وهذه الخصال هي التي تؤهلها للقيادة والزعامة ، ولم يكن من المستغ في نظر العربي نظام الوراثة الذي عرف عند الملوك . وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :^(٢)

انى وان كنت ابن سيد عامر

وفارسها المشهود في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة

ابى الله ان اسمو بأم ولا أب

ولكنني احى حماها واتقى

اذاها وارمى من رماها بمنكب

(١) معجم الامثال - الميداني ١٤/٢

(٢) انساب الاشراف للبلاذري ١٧٩/٢ والشر والشراء ص ١٩٢ ط ليدن . وفيها خلاف .

والرئيس هو الذي يقود القبيلة في حروبها، ويقسم غنائمها، ويستقبل وفود القبائل، ويقوم بواجب الضيافة، ويعين المحتاج، ويقبل العاثر، ويفك اسرى قبيلته، ويتحمل القسط الاكبر من جرائم القبيلة وما تدفعه من ديات، فكل عظمة بمصبونها برأسه « ومن ذلك قالوا: (سيد معمم) يريدون ان كل جناية ينجنيها احد في المشيرة معصوبة برأسه^(١)، ولم يكن شيخ القبيلة مستبداً برأيه، بل يستعين بشيوخ القبيلة وذوي الرأي والشرف فيها، يستشيرهم اذا حزب الامر.

وكان افراد القبيلة يتمتعون بحرية في ظل النظام القبلي، ولهم حقوق متساوية لا يتميز بعضهم على بعض، وفي مقابل هذا كان على الفرد في القبيلة أن يخضع لأربابها ولا يخرج عليه، ولا يكون سبباً في تفريق كلمتها، وتشتيت وحدتها، أو الاساءة الى سمعتها فانه اذا غلا في ذلك وكثرت جرائمه عرض نفسه للخلع، والخلع أشد عقوبة توجه للفرد في المجتمع البدوي، وفي اللسان « والخلع الرجل ينجى الجنايات يؤخذ بها اولياؤه، فيتبرأون منه ومن جانيته^(٢)». ولذلك نجد أن افراد القبيلة جميعاً يحرصون على سمعة القبيلة ومصالحها وصيانة حقوقها، وان أحدم ليضحى لها بماله ونفسه، فهي حياته وكيانه، وهو مع اعتزازه بفرديته وحريته، يجد أن تحقيق تلك الحرية في نطاق القبيلة وعصبيته لها.

على أن هذه العصبية لم تكن واسعة الحدود بحيث تشمل فكرة الامة والجنس العربي، بل كانت على الغالب ضيقة الحدود، لا تكاد

(١) ميون الاخبار - ابن قتيبة ٢٢٦/١

(٢) اللسان مادة (خلع)

تتجاوز حدود البطن ، أو القبيلة في مفهومها الضيق ، ولذلك نجد كثيراً من بطون القبيلة الواحدة في صراع وقتال^(١) . على الرغم من شعورها بوحدة نسبها . فكأن العصبية للرھط أو البطن ، تطنى على العصبية الجامعة للقبيلة ، فما قولك بالشعب أو الامة .

ومصلحة القبيلة هي وحدها التي تحدد صلاتها بالقبائل المجاورة لها ، سواء ربطتها بها رابطة النسب ، أم لم تربطها . وربما آثرت القبيلة بدافع المصاحبة أو الجوار أو الضعف محالفة قبيلة أخرى ، وتنضم القبيلة الضعيفة عادة الى قبيلة قوية ، تحميها وترد عنها العدوان^(٢) . والحلف - كما هو ظاهر من اسمه - يعنى اليمين الذي كانوا يقسمونه في عهودهم ، فكانت التحالفات تتم بمظاهر دينية ، ليشر المتحالفون بخنجر هذا التحالف ، فهم ينحرون هديا ، وينمسون أيديهم في دمه ، ولذلك سميت اليمين المنطقة (غموسا) أو كانوا ينمسون أيديهم بطيب ، وقد عرف من ذلك حلف المطيبين الذي تعاقد فيه بنو عبد مناف وبنو زهرة ، وبنو نعيم ، وبنو أسد ، ضد بني عبد الدار وأحلافهم ، أو كانوا يوقدون نارا - فعل المجوس - كما فعلت قبائل مرة بن عوف الذيبانيين حين تحالفت عند نار ودنوا منها حتى يحشتهم فسمي حلقهم باسم (الحماش) وغير ذلك^(٣) . وحين تدخل القبيلة في

(١) كما اقتتل فرما بن طامر - بنو جعفر بن كلاب ، وبنو أبي بكر بن كلاب بسبب ابن ضيا الاسدي - النخاض م ٥٣٣ ط أوروبا وكذلك قتال بني جعفر والضباب في يوم هراميت . النخاض م ٩٣٧ ومجمع البلدان ٨/ ١٥٠ وكعرب القناد بين بطون طي . ابن الاثير ٣٨٨/١

(٢) مجمع البكري ١/ ٥٣ ط السقا

(٣) ناج الروس (بحث)

حلف يصبح لها على أحلافها كل الحقوق، فهم ينصرونها على أعدائها ويردون الكيد عنها، وللقبيلة الحق في أن تنفصل عن الحلف متى شاءت، لتنضم الى قبائل أخرى في أحلاف غيرها، ولذلك كثيراً ما تضعف بعض الأحلاف وتحل محلها أحلاف أخرى. وكانت بعض القبائل - وهي قليلة - تجدد في نفسها القوة والعزة فلا تدخل في حلف من الأحلاف. وأولئك يعرفون بـ (جمرات العرب) (١).

كانت القبائل تسعى الى المحالفات طلباً للامن، ودفعاً للمدوان، وإثارة للعافية ومع ذلك لم تستطع هذه المحالفات حقن الدماء التي كانت تسفك لاتفه الأسباب، بل ربما كان الحلف من أسباب الحرب، تسعى اليه القبيلة اذا هي طلبت ثأراً عجزت عنه، او زلت بها مصيبة قعدت دون دفعها.

وحياة القبائل بعد ذلك سلسلة حروب ومنازعات، تنشب لاسباب ذات خطر أو ليست بذات خطر، واهم خصوماتهم تقوم على مراعى السوام ومواقع المياه، والغزو الذي اتخذوه وسيلة من وسائل العيش، والثأر الذي لا يفصل عاره الا الدم، وبذلك كانت حياتهم عمادها الحرب والنارة. والاستعداد توغماً للخطر، فهم شاكوا السلاح، حاضرو العدة، معتصمون بصهوات جيادهم، يجردون في قمممة السيوف ووقع الاسنة وصهيل الخيل، استجابة لمعاني البطولة والقوة في نفوسهم. وقد سميت حروبهم ووقائعهم اياماً لانهم يتقاتلون نهاراً فاذا جاء الليل حجزهم وفرقهم، فاذا حل اليوم الثاني عادوا للقتال.

(١) زهر الاداب - المصري ٢٥/١ ط السادة ١٩٥٣/١٩٥٢

وايام العرب كثيرة بحيث يقال ان ابا عبيدة (معمر بن المثنى - ٢١١ هـ) الف كتاباً^(١) جاء فيه ذكر مائتين والف يوم * ولم يصل اليها هذا الكتاب . ولكن كتابه شرح النقائض ، حفظ طائفة كبيرة من تلك الايام . وقد ذكر الميداني في كتابه (بجمع الامثال) اثنين وثلاثين ومائة يوم ضبط اسماءها وبين احداثها والقبائل التي اشتركت فيها . وقد كانت الايام هذه مادة غنية للشعراء . فكان الشعر صدى واضحا لها ، حكى وقائعها ووصف هولها وبكى قتلاها * وتعد الحصوم ، وطالب بالتأثر ، وافتخر بالنصر وعير بالهزيمة . وقد كانت الكتب التي عنيت بالايام^(٢) دواوين وملاحم رائعة صادقة ، حفظت ذلك الشعر ، الذي ما زالت روعته ونخامته تهز سامعيه ، وتبعث فيهم روح البطولة والبراعة والحماسة .

(٣)

وحياة العرب في الجاهلية لم تكن مقتصرة على هذا الشكل القبلي المصبي الضيق ، الذي تنحصر فيه الحياة ، وتعبث به العصبية والنزعات الفردية ، فقد انشأ العرب في قلب الجزيرة وأطرافها دولا وممالك واذا شئت الدقة ، امارات ، ونعرف منها - في هذه الفترة التي سبقت الاسلام - ثلاث امارات : اماراة المناذرة في العراق . والغساسنة في الشام ، وكندة في شمالي نجد عند دومة الجندل . وقد

(١) الفهرست - ابن القديم ص ٨٩ ط أورب .

(٢) ام الكتب التي اهتمت بالايام : نقائض ابن عبيدة ، والاغاني ، وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الاثير ، والمقد الفريد ، ونهاية الارب قنوري ، وجمع الامثال للميداني وغيرها .

كان حظ الامارتين الاوليين عظيماً ، من الترف والرخاء ، والحضارة ، وقوة السلطان .

فاما المناذرة : فقد اتخذوا الحيرة مستقراً لهم وعاصمة^(١) . وهم من قبيلة لحم اليمنية . وقد جاءوا العراق هم وبعض قبائل عربية - عرفوا باسم تنوخ - في حوالي القرن الثالث الميلادي^(٢) ونشأت اعادة المناذرة في كنف الدولة الساسانية ، التي رأت ان تستفيد من استقرار العرب على حدودهم الغربية ، ليقوموا بحماية هذه الحدود ضد من يعتدي عليهم من الروم ، او عرب البادية ، وكان ذلك في عهد سابور الاول (حوالي ٢٤١ - ٢٧٢ م) . واول ملك للمناذرة هو عمرو ابن عدي اللخمي ثم ولى بعده ملوك من أسرته ، كان اهمهم واشهرهم (النعمان الاعور)^(٣) او السائح . صاحب قصري الخورنق والسدير ، وكتيبي الشهباء والدوسر . وكان معاصراً لـ (يزيد جرد الاول) (٣٩٩ - ٤٢٠) الذي ارسل اكبر ابنائه (بهرام جور) الى النعمان في الحيرة لينشأ في بيئة عربية ، ويتعلم الفروسية وفنون الصيد ، وينعم بصحة البادية ، وقد اتقن بهرام اللغة العربية واحب اهلياً ، فلما تولى الحكم بعد ابيه قرب عرب الحيرة اليه ، وذكر لهم نصرتهم اياه حين شب النزاع بينه وبين اخيه حول العرش بعد موت ابيهما يزيد جرد^(٤) . ومن ملوك المناذرة اللاحقين : المنذر بن ماء السماء (حوالي

(١) تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية على بعد ثلاثة أميال من المكان الذي بنيت فيه الكوفة . والحيرة لفظ سرياني معناه الحصن . المنتظم - ابن الجوزي ١٧١/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٢٦/٢

(٣) مسمى السائح لأنه كان ترهد ومجراً للملك في زمن بهرام جور . أبو الفداء ٧٠/١

(٤) مروج الذهب - المسعودي ٤-٢/٢ ط اوربا

٥١٤ - ٥٥٤) صاحب الغريين المشهورين ، ويومى النعيم والبؤس ^(١) .
 وكان المنذر معاصراً لـ (قباذ) ملك الفرس ، وكان قباذ قد اعتنق
 المزدكية واتخذها ديناً رسمياً للدولة . وأراد ان يفرى المنذر بها . فلما
 رفضها المنذر عزله وولى الحارث بن عمرو امير كندة مكانه . الا ان
 الايام لم تمهل قباذ ، فرعان ما هلك وخلفه كرى انوشروان ، الذي
 كان ييقض المزدكية ، فاعاد المنذر الى حكم الحيرة ^(٢) . وقد عرف
 المنذر بفارقه الشديدة ضد الفساسنة حتى قتل في يوم (أباغ) ^(٣) .
 وخلف المنذر ابنه عمرو بن هند (٥٥٤ - ٥٦٩ م) ^(٤) الذي عرف
 بالحرق ، لانه قتل مائة رجل من نجم حرقة بالنار يوم أواراة باليامة ،
 وكان طاغية مستبداً كرهه الناس والشعراء ، فهجوه ، وهو صاحب
 طرفة والمتلمس ، وقصته معها مشهورة ، وفيه يقول الشاعر : ^(٥) .

ابى القلب ان يهوى السدير وأهله

وان قيل عيش بالسدير غرير

به البق والعصى وأسد خفية

وعمر بن هند يعتدي ويجور

وقد قيل ان عمرو بن كلثوم التغلبي قتل عمرو بن هند ثأراً

(١) الاغانى ١/ ٨٦-٨٨

(٢) المختصر في أخبار البشر ١/ ٧١

(٣) ابن الاثير - اربع السكامل ١/ ٣٢٦

(٤) الطبري ٢/ ٩٤ ط الحبيبة - ويحدد جرحي زيدان تاريخ حكمه سنة ٥٦٣ م
 العرب قبل الاسلام ص ١٨٥-١٨٦ .

(٥) الاغانى ٢٩/ ١٢٦ ط ساسي .

لكرامة امه ليلى ، حين أرادت هند ان تذلها بأن تستخدمها^(١).

وكان آخر ملوك المناذرة النعمان الثالث بن المنذر الرابع (٥٨٠ - ٦٠٢) المكنى بابى قابوس ، الذي امتد سلطانه الى البحرين وعمان ، وشهرت لطافته التي كانت اجارتها سببا في حروب شغلت قبائل قيس ودحا من الزمان. وكان الشعراء يؤمون بلاطه ، ويحفظون برعايته ، فقد ذكرت كتب الادب اخبارا عن جملة من الشعراء منهم : النابغة الذبياني (وفي النعمان قال اعتذارياته المشهورة) والمنخل الشكري ، ولبيد ، والمثقب العبدى ، وغيرهم^(٢).

وكانت نهاية النعمان في سجن كرى الثاني الذي نكل به ورماه تحت ارجل القبيلة فحطمته . لانه قتل عدي بن زيد العبادي . وبسببه كانت وقعة ذي قار ، حيث انتصرت قبيلة بكر - حمية للنعمان - على الفرس وعلى اياس بن قبيصة الطائي . الذي نصّبه الفرس خلفا للنعمان . وبقي أمر الحيرة مضطربا حتى فتح المسلمون العراق عام ٦٣٣ م . واذعنّت الحيرة لغالب بن الوليد^(٣).

* * *

واما أمارة الشام ، فقد اسسها الفساسنة ، وهـ م - كالمناذرة -

(١) الاغانى ٥٧/١١ ط الدار والشعر والشعراء ١١٨-١١٩ ط ليدن . ويشير عمرو بن كلثوم الى ذلك في قوله من المطلقة :

تهدنا وأوعدنا وويدا متى كنا لامك مقتوبا

(البيت في شرح الملقات لتبريزي ص ١١٧ ط لايل)

(٢) الاغانى ٣/١١ ط الدار

(٣) المختصر في اخبار البشر ٧٢/١ و تحجواب الامم - ابن مسكويه ص ٢٥٠-٢٥٢ ط ليدن .

من عرب الجنوب ترحوا الى الشمال . مع قبائل كثيرة اهمها جذام ، وعاملة ، و كلب ، وقضاة . وقد اقاموا امارتهم في شرقي الاردن ، ولم يتخذوا لهم حاضرة بعينها . وان كانت منطقة الجولان اشهر مناطقهم ، واشتهرت الجابية كذلك بانها كانت مقراً لملوكهم فعرفت بجابية الملوك^(١) . كما عرفت جاق - بالقرب من دمشق - من ضمن منازلهم .

وتاريخ الفاسنة غامض على خلاف تاريخ المناذرة الذي كان مكتوباً ومحفوظاً في بيع الحيرة . قال ابن الكلبي : « إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة الحيريين ومبالغ أعمال من عمل منهم لآل كرى ، وتاريخ نسبهم ، من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها »^(٢) . أما تاريخ الفاسنة فقد كتب باليونانية ولم تكن صلة العرب باليونانيين مثل صلتهم بالفرس ، وندر منهم من كان يتقن اليونانية ، ولهذا كثر الاضطراب في تاريخ الفاسنة عند مؤرخي المسلمين .

لقد قامت دولة الفاسنة في أواخر القرن الخامس الميلادي ، (حوالي ٤٩٢ م)^(٣) بعد أن تغلبوا على الضجاعة ، ففر بهم الرومان منهم وجعلهم دوماً وأقياً لهم ولحدودهم ضد غارات الفرس والمناذرة . وأول مؤسس لدولتهم هو جفنة بن عمرو مزريقيا ، لذلك يسمون آل جفنة . وأشهر ملوكهم وأقواهم الحارث بن جبلة (٥٢٨ - ٥٦٩ م)

(١) تاريخ العرب - جواد علي ١/٤ - ١٥١ - ١٥٢

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٧ ط اوربا

(٣) محمد دوبريغال تاريخ اقامة دولة الفاسنة بالشام بحوالي سنة ٤٩٢ م :

C. De Perceval : Essai Sur L'histoire des Arabes.

V. 2, P. 189.

المعروف بالحارث بن أبي شمر الذي عرفت حروبه ضد الفرس وضد المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة ، الذي قتله الحارث في يوم حليمة . وقد كان ذلك على عهد الامبراطور (جستنيان) الذي انعم على الحارث بالاكليل ، واعترف بسيادته المطلقة على جميع عرب الشام ، ومنحه لقب فيلارك ، أي شيخ القبائل ، وبطريق ، وهو أعلى لقب بعد الامبراطور ، وكان الحارث نصرانيا على مذهب اليعاقبة^(١) . وخلفه ابنه المنذر بن الحارث (٥٦٩-٥٨١ م) الذي هزم أبا قابوس ملك الحيرة سنة ٥٧٠ م في معركة عين أباغ^(٢) . وكان آخر ملوك الفساسنة جبلة بن الايهم الذي حارب المسلمين في صفوف الروم ، ثم أسلم في عهد عمر بن الخطاب ثم ارتد الى النصرانية . قال ابن خلدون : « ولما فتح المسلمون الشام وأسلم جبلة ، واستشراف أهل المدينة لمقدمه حتى تناولت النساء من غدورهن لرؤيته لكرمه وفادته ، وأحسن عمر زله وأحله أرفع رقب المهاجرين ، ثم غلب عليه الشقاء ولطعم رجلا من بني فزاة ، وطى . فضل أزاره وهو يسجبه في الأرض ، وثابذه الى عمر في القصاص ، فاخذته العزة بالاثم ، فقال له عمر : لا بد أن أقيده منك ، فهرب الى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة ٥٢٠ هـ^(٣) على أن الاخبار تصور جبلة وهو نادم على رده أسف على فعلته في عصيان عمر ، وتروى له في ذلك هذه الابيات :^(٤)

(١) O'Leary : Arabia before Mohammad. P. 21.

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ١٣٥/٤

(٣) تاريخ ابن خلدون ١١٢/٢ ط بيروت

(٤) الاغانى ١٥/١٦ ط بولاق

تنصرت الاشراف من عار لظمة
 وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
 تمكثني فيها لجاج ونخوة
 وبعث لها العين الصحيحة بالعود
 فباليت امي لم تلدني وليتني
 رجعت الى القول الذي قاله عمر

وقد كان بلاط الفساسنة - كما كان بلاط المناذرة - مقصد
 الشعراء الذين نعموا بالهدايا والهبات ، مثل حسان بن ثابت ، والنايفة
 الذبياني ، والاعشى ، والمرقس الأكبر ، وعلقمة الفحل ، وغيرهم .
 هاتان الامارتان المريتان على حدود فارس و الروم كانت العلاقة
 بينهما علاقة حرب ودماء وثورات ، وقد قامت بين هاتين الامارتين ،
 امارة ثالثة لم يكن ولاؤها لملوك فارس او الروم ، بل كانت تمحض
 ودها لعرب اليمن من الملوك الحميريين (ملوك سبأ وذي ريدان
 ويمنا) وتلك هي امارة كندة ذات الاصل الجنوبي ايضا ، وقد
 قامت هذه الامارة في القرن الرابع الميلادي شمالي نجد ، واتخذوا
 دومة الجندل حاضرة لهم^(١) . وقد عرف من ملوك هذه الامارة
 - التي لم يكن لها شأن الامارتين السابقتين ولا حضارتهما - حُجر الملقب
 بآكل الحُرار ، الذي دانت له القبائل الكثيرة في نجد ، وامتد نفوذه
 حتى اليمامة ، وكان فيمن دان له بالطاعة قبيلتا بكر وتملب ، وان
 تمردت القبيلتان بعد عهده ، حين ولي الحكم ابنه عمرو المقصور ، ثم

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢١٥/٣

قامت الحرب بين بكر وتغلب ودامت طويلا قليل انها استمرت اربعين عاما ، وتلك هي حرب البسوس .

وكان خير عهود كندة ، واشدها نفوذا ، وأوسعها رقعة ، عهد الحارث بن عمرو ، حيث دانت له قبائل نجد واصلاح بين بكر وتغلب فدانتا له ، وقد نظم حكمه بأن اقام ابنه شرحبيل على بكر ، وابنه الثاني معد يكرب على تغلب ، وولي على قبائل قيس عيلان ولده سلمة ، اما الابن الرابع حجر ابو امرى . القيس الشاعر فقد حكمه على بني اسد . وكان من قوة الحارث ، وسعة سلطانه ، ان عقد محالفة بينه وبين امبراطور بيزنطة ، وشن حملات على المناذرة ، فوفق في غير معركة . ولما خلع قباذ ملك الفرس المنذر بن ماء السماء عينه حاكما على الحيرة - كما مر بنا - غير ان الامور لم تستقم للحارث ، فسرعان ما مات قباذ ، وجاء كسرى انوشروان ، فعزل الحارث واعاد المنذر الى حكم الحيرة^(١) . واشتد الصراع بين الحارث الكندي وبين المنذر ، وكانت نهاية الحروب ان قتل الحارث وتداعت دولته ، واختلف ابناؤه بعده ، فاقتتلوا فيما بينهم فقتل كل من شرحبيل وسلمة ، ووجن معد يكرب وثارت بنو اسد على حجر فقتلته ، وحاول امرؤ القيس ابنه ان يسترد ملك ابيه ويثأر من بني اسد فخابت مساعيه ، وكانت نهايته حين رحل الى امبراطور بيزنطة ليستعين به على محاربة المنذر فلم يعنه ومات في تلك الرحلة .

ومها يكن من شيء ، فان اماره كندة لم تبلغ من الجهد والسطان

(١) المختصر في اخبار البشر ٧١/١

واسباب الحضارة والرخاء ، ما بلغت امارة المناذرة في العراق ، ولا امارة الفساسنة في الشام ، وكان عهدها قصيرا ، ونفوذها مقتصرا على عرب البادية ، على حين كانت الامارتان الاخريان تتمتعان بسلطانتهما على سكنة الحواضر واليوادي على حد سواء .

هذه هي الصورة العامة للحياة القبلية والحضرية في القرن السادس ، وهي صورة عرفت بعلاقات سكان الجزيرة وارتباطاتهم ونظمهم وطبيعة الحكم عندهم ، ونظرتهم القبلية التي حددت صلاتهم بالدول الاجنبية . وهذا هو الجانب السياسي من هذه الحياة فما نصيب المنطقة من الحيوانات الاخرى الاجتماعية والفكرية والدينية ؟ ذلك ما أحاول أن أبينه فيما يلي من فصول .



الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

(١)

العرب في الجزيرة العربية قسماً : أهل و بر و بادية ، وأهل مدر و حاضرة ، فالمناطق التي يحدها المطر ، وتكثر فيها المياه والابار ، تكون مناطق زرع ودعي واستقرار ، ثم تقوم فيها الابنية ويكثر العمران وتنشأ فيها أسباب الحضارة ، وتنشط التجارة والأسواق ، وسكان هذه المناطق هم أهل المدن التي كانت حول الجزيرة ، في الحجاز واليمن والعراق والشام ، و قليلاً ما تكون في قلب الجزيرة ، لأنها صحراوية او جبلية مجدية الحياة فيها قاسية ، فلا تتفق والحياة المستقرة ، فيحتاج لذلك سكانها الى الرحلة والنقلة ، طلباً لمساقط الفيت ومتابعت الكلاء . واذا قلنا الرحلة ، فلا نعني بها التجوال المستمر الذي لا قرار فيه في ارض معروفة ، او بقعة معينة ، بل لكل قبيلة منازل في الصيف ، ومنازل في الشتاء معلومة معينة . ومع كل ذلك ، فان هذا التقسيم الاجتماعي بين البدو والحضر ، لا يفهم منه انقطاع البادية عن الحاضرة او انعزالها ، فاذا صح ان بعض القبائل المتبدية كانت منقطعة متوحشة ، لأم لها الا الغزو وانتجاع الكلاء ،

فان كثرة القبائل كانت على صلة دائمة بالمدن ، تتزود منها وتتأثر بها ، وان حياة المدن نفسها كانت حياة قبلية ، فثرب الا مستقر لقبيلتي الاوس والخزرج ، والطائف كانت مصطاف بني عامر ثم مستقر ثقيف ، ومكة مدينة قريش . والاضح من هذا - في أن البادية لم تكن بمعزل عن الحاضرة - ان القبيلة الواحدة قد يكون لها حاضرة وبادية في آن واحد : فقريش لها حاضرة ولها بادية ، جاء في اللسان : (قريش الاباطح اشرف واكرم من قريش الظواهر ، لان البطاحاوين من قريش حاضرة ، وهم قطان الحرم ، والظواهر اعراب بادية ، وضاحية كل بلد ناحيتها الباردة) .^(١) و قبيلة مزينة كانت موزعة بين الجبال والقرى ، فقسم منها سكن جبل وردقان^(٢) ، وقسم آخر نزل في جبلي القدسين وقسم ثالث في جبلي قبهان وبقيتها استوطنت في قرية الفرع ، وهي قرية كبيرة غناء . كما يصفها عرام السلمي^(٣) . وكذلك الامر في جهينة فقد كان منها من سكن الوبر في نواحي جبلي رضوى وعزور ، وسكن قسم آخر قرية ينبع ذات المزارع وعيون المياه الغزيرة ، وسكن قسم ثالث من هذه القبيلة قرية الصفراء التي تكثر فيها المزارع والنخيل وعيون المياه ، وموقعها فوق ينبع مما يلي المدينة^(٤) . والامثلة على هذا كثيرة .

تلك القبائل التي سكنت البوادي او التي سكنت الحواضر ، لم

(١) اللسان مادة (ضح)

(٢) اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصبغ السلمي ص ١٦ تحقيق عبدالسلام هارون ١٣٧٣ هـ .

(٣) اسماء جبال تهامة وسكانها ص ١٨-١٩

(٤) المصدر السابق ص ٨

تكن طبقة واحدة متساوية وانما هي ثلاث طوائف اجتماعية : أبناء القبيلة ، ومواليها ، وعبيدها .

(أ) فأبناء القبيلة الخالص الذين ينتمون اليها بالدم ، هم عماد القبيلة وقوامها وعليهم واجب حمايتها والدفاع عنها والعصية لها .

(ب) ثم الموالى الذين هم ادنى منزلة من أبناء القبيلة ، وهؤلاء اما ان يكونوا : موالى بالجوار او الحلف ، وهو ان يحتذى بعض الافراد بقبيلة اخرى غير قبيلتهم ، فتتهد بحمايتهم ، او يحتذى بفرد من أبناء القبيلة فيكون مولاه ويعيش في ظل القبيلة ولكل منها ان يرث صاحبة اذا مات قبله ، وحقوق المولى - على كل حال - لا تبلغ حقوق الاصيل ، فلا يستطيع المولى ان يجير على القبيلة كما يجير ابنها عليها ، وسرعان ما تنمقد بين المولى وجاره رابطة قوية ، فالعامي يحافظ على عهده وجواره ، ويحرص على الوفاء له ، فإنه كان من اقبح العيوب عندم نقض العهد والقدر ، وهم يحقرون من يقعد عن نصره جاره أو يندربه ، حتى انهم كانوا يرفعون بذلك لواء في الاسواق تميرا وتشهيرا " قال الحاددة (قطبة بن أوس) يخاطب امرأة :^(١)

أسمى ويحك هل سمعت بفدرة

رفع اللواء لنا بها في مجرح

أو يكون المولى من الخلفاء الذين خلعتهم قبايلهم لكثرة جنائياتهم ، فيستجير أحدهم بقبيلة اخرى فتجيره ، ويكون كأحد أبنائها له ما لهم .

(١) الفضليات ص ٥٦ وحياة البحري ص ٢١٦ ط ليدو او ١٤٩ ط لويس .

شيفو .

وعليه ما عليهم ، ومن هؤلاء الخلفاء طائفة الصعاليك ، كالشفرى
وتأبط شرا وعروة بن الورد وغيرهم . على أن الخلع لم يكن هيناً
ميسوراً ، وما كان يحدث إلا في حالات نادرة معدودة ، فالفرد
عزيز على قبيلته وهو حريص عليها حرصه على حياته .

ومن الموالي أيضاً العبيد المعتقون ، فهم في حماية القبيلة وتكون
العلاقة بين المعتق والعتيق ولا ، فلا ينسى العتيق فضل سيده
وحسن صنيعه .

(ج) وطائفة ثالثة في القبيلة هي : العبيد ، وكانوا عادة من أسرى
الحروب أو ممن يجلب من الأمم الأخرى ، كالأحباش (الرقيق
الأسود) المجلوب من الحبشة وما حولها^(١) وكان هؤلاء العبيد أقل
مكانة من الموالي ، ويقومون بالأعمال الشاقة المرهقة^(٢) ، وكانت
حالتهم بائسة مزرية ، ولا سيما الذين كانوا في ملك أناس قساة القلوب
غلاط الأكباده ، وقد كان في مكة كثير من العبيد ، وكانت قريش
تستخدمهم في حراسة قوافلها التجارية وفي الحروب ، يدل على ذلك
اشترائك وحشي وغيره في يوم أحد ، وقول كعب بن مالك في مقتل
حزاة بن عبد المطلب :

فلاقاه عبد بني نوفل يربو ركا للجل الأذعج
وقوله أيضاً يصف جيش قريش يوم أحد وفيهم العبيد :^(٣)
لجئنا إلى موج من البحر وسطه أحباش منهم حاسر ومقنع

(١) الطبر - محمد بن حبيب ص ٣٠٦-٣٠٨ . وقد ذكر ابتداء الحبشيات في الجزيرة .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) السيرة النبوية ٢/٣٦ ، ١٣٨٥ والاعتق ٢٨/١٥ ط ساسي .

ويجمع أبناء القبيلة هؤلاء - الخالص منهم والموالي والعميد - ولا ،
وعصبية ، وتضامن ، أحكم عراه حرصهم على شرف القبيلة ومجدها ،
فالإخلاص للقبيلة رباط وثيق بين الجميع ، وعليهم أن يضحوا بكل
شيء في سبيلها ، وأن الفردية التي عرف بها العربي لتفنى وتذوب في
القبيلة ، وهو يرى أن خير القبيلة خير له ، وعليه أن يتحمل أوزارها ،
وينعم بخيرها ، ويهب لنصرتها حين يدعوها الداعي ، وهو مع قبيلته
على كل حال ، سواء عليه أكانت قبيلته تلك غاوية أم راشدة ،
ومصدق ذلك قول دريد بن الصمة :^(١)

وهل أنا إلا من غزية أن غوت

غويت وإن ترشد غزية أو شد

ولم يكن أمر القبيلة فوضى - كما قد يبدو - بل كانت لها أصول
مرعية في داخلها ، تنظم علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، كما أن لها
نظامها الخارجي الذي يحدد صلاتها بالقبائل الأخرى ، وهناك روابط
عامة ومثل عليا يلتقى عندها العرب جميعا ، لأنهم يرون فيها بغيتهم
التي تكسبهم العزة والرفعة والمجد والذكر الحميد ، وتلك المثل جماعها
المروءة والحلال الطيبة ، مثل : الكرم والأمانة والوفاء وحماية الجار
والعلم وسعة الصدر والأعراض عن شتم اللئيم والنجدة والقوة والصبر
عند البلاء .

وأبرز خصلة يعتز بها العربي ويتميز بها عن غيره هي الكرم

(١) الاسمييات ص ١١٢ ط دار المعارف . وشرح الرزوقي على الحاشية ٨١٥/٢

ط هارون . غزية : من قبائل بني جشم

والسماحة والبذل ، ومهما قيل عن أسباب الكرم ودوافعه عند العرب ، من قسوة الحياة ، وجذب الصحراء ، والمحل وانتشار الفقر ، ونفاد الزاد ، فإن الكرم في العرب سجية متأصلة في نفوسهم « فهم يلقون الضيف بالبشر والترحاب ويبذلون له أجود ما لديهم من طعام وخير طعامهم لحم الشياه والابل^(١) ، ولم يكن كرمهم خاصا ضيق الحدود ، بل كانوا يكرمون الغريب والبعيد ، من يعرفونه ومن لا يعرفونه ، حتى عدوم اذا نزل فيهم استبشروا بمقدمه واكرموا وفادته ، كانوا يكرمون سراة الناس ووجوههم ، كما يكرمون فقراءهم من اليتامى والارامل والبانسين والماملين ، بل كان غفرهم باطعام الفقراء اشد من غيره ، لم يشذ احد منهم عن ذلك غني او فقير ، وما قولك بقوم يغيرون على أموال الاغنيا . فيقسمونها بين الفقراء ، ويتساوى في طبيعة الكرم هذه السادة والعبيد والخلفاء والصماليك ، فهذا عروة بن الورد الفارس الصطوك^(٢) كان يجمع الى خيمته فقراء قبيلته عيس والموزين منهم والمرضى ، يتخذ لهم حظائر يأوون اليها ويفيض عليهم مما يقيم^(٣) . ويكفي هذا الصطوك شرفا ان تمنى ملوك المسلمين الانتساب اليه ، نقل عن عبد الملك بن مروان انه قال : « ما كنت احب ان احدا ، ولدي من العرب الا عروة بن الورد لقوله :

أتهزا مني أن سمئت وان ترى

يحسمي مس الحق والحق جاهد

(١) فتوسم والاستقصاء واجم كتاب الدكتور الخوي (الحياة البرية في الشر

الجاهلي فصل الكرم ص ٣٠٨ - ٣٢١)

(٢) انظر اخلاق الصماليك ومذهبهم وكرمهم في الحياة البرية ص ٣٠٦ - ٣٠٩

وكذلك كتاب الصماليك في الشر الجاهلي ليوسف خليف .

(٣) الاغانى ٧٨/٣ ط الدار

لائي امرؤ عافي اثني شركة
وانت امرؤ عافي اثنتك واحد
اقسم جسمي في جئوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد^(١)

وكانت العرب لا تترك وسيلة لهداية الضيفان اليها الا فعلتها ،
فهم يوقدون النار ليلا ليهتدي بضوئها من يراها ، وكان بعضهم يوقد
النار بحطب طيب الرائحة ليهتدي بهذه الرائحة من فقد نعمة البصر^(٢) ،
وهذا ضرب من الأريحية تنقطع دونه أعناق اللثام . وقد عرف من
أجواد العرب خلق كثير حتى ضربت بهم الامثال ، وما زال الناس
يتمثلون بكرم حاتم وغيره من أجواد العرب ، وكانوا يتمدحون
بالكرم ، وهم يرونه فرضا واجبا وقت الضيق والبرد والشدّة والقحط ،
فكانوا ينحرون ويطعمون حين تهب الصبا ، وقد خصوا الصبا لأنها
لا تهب إلا في البرد والجدب ، وعرف أولئك بمطاعم الريح ومنهم
الشاعر لبيد بن ربيعة الذي نسبت اليه هذه الرياح فأمر الكوفة
- الوليد بن عقبة - بمدحه بقوله :^(٣)

أرى الجزار يشخذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل

(١) المقدم الفريد ١/١٩٩ . وانظر ديوان عمرو بن ١٣٨ - ١٤١ ط الجزائر
١٩٢٦ الثاني : طالب المعروف . اناؤك واحد : أي تأكل وحدك . القراح : الخالص
الذي لا يخالطه لبن ولا غيره .

(٢) بلوغ الأرب ١/٧ - وانظر الحياة العربية ص ٣١٥ - ٣١٦ حيث يرفض
الدكتور الحقوقي هذا الرأي ويرى أن ابتداء النار بالندل ضرب من الترف واطهار المقدرة
وللتباهي بالثراء ورغبة أن يتسوا رائحة الطيبة .

(٣) طبقات الشعراء - ابن سلام ص ١١٤ والشعر والشعراء ص ١٥٠ ، وكذلك
الآغا ص ١٤/٩٥ - ٩٥ .

ولم يكن ليبد وحده يفعل ذلك ، بل فعل ذلك أبوه (وبيع
المقترين) قبله « ومثله في هذا كنانة بن عبد اليل^(١) . وكذلك فعلت
قريش^(٢) وفعل قريش هذا له دلالة ، فهي في مجتمع حضري تسيطر
عليه روح التجارة ، ومع ذلك لم يكن الكرم مقتصرًا على البادية
أو محدودًا بحدودها وبظروفها ، وأخبار الكرم والكرما في الجاهلية
والاسلام أوسع من ان تحيط بها هذه الالامة^(٣) .

وكانت طبيعة الحياة العربية تتطلب القوة والشجاعة والاقدام
وركوب المخاطر والتجمل للمكارمة والخطوب ، وقد دعاهم الى ذلك
طبيعة الحياة المضطربة القائمة على الغزو والغارة والمدا ، فهم في حرب
مضطرمة الأوار لا تكاد تحبو حتى يشب ضرامها ، وما اسرع
ما تستمر الحروب لأمور ذات خطر أو ليست بذات خطر ، ودواعي
الحرب كثيرة عندهم فقد يتنافسون على شرف ورياسة ، أو يتنازعون
على ماء ، أو مرعى ، أو تكون طلبا لثأر قديم أو غارة أو مفاخرة
ومنافرة ، كانت تشتد الحرب بسبب من هذه الأسباب أو غيرها ،
وان احدهم ليهب لنصرة قومه اذا سمع الصارخة ، وهو يعلم السبب
أو لا يعلمه ، وقد صور هذه الحال خير تصوير قريظ بن اثيف^(٤) :

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه اهم

طاروا اليه زرافات ووحدانا

(١) ذكرم الميداني في النمل (اقرب من مطاعيم الربيع) مجمع الامثال ٢/٢٢٧

(٢) الخبر - محمد بن حبيب ص ٢٤٩

(٣) ينظر تفصيل ذلك في كتاب الدكتور الحولي (الحياة العربية في الشعر الجاهلي)

ص ٣٠٨ - ٣٢٩ ط الرسالة .

(٤) شرح الحماسة لفرزدق ١/٢٧ - ٢٩ الناجدة : ضر من المسلم ، مثل

لاشتداد الشر .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في الثائبات على ما قال برهانا

ويعزز هذه الحال ما روي عن عبد الملك بن مروان ، أنه سأل ابن مستطاع العنبري : « أخبرني عن مالك بن مسمع ، قل : لو غضب مالك لغضب معه مائة الف سيف » لا يسألونه في أي شيء غضب »^(١) لقد كان الغزو يندبهم والقارة معاشهم ، فكثروا يغيرون على الأعداء وعلى الأباعد ، فان لم يجدوا ذلك لا يترددون في ان يميلوا رؤوس الخيل نحو أقربائهم وذوي الأرحام منهم ، وقد عبر الشاعر القطامي (عمير بن شبيب) عن هذا بقوله :^(٢)

وكنّ إذا أغرن على جناب وأعوز عن نهب حيث كنا

أغرن من الضباب على حلول وضبة انه من حان حاناً^(٣)

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ولا بد في هذا المجتمع الحربي من القوة لاتها السبيل الوحيد للحياة الكريمة ، وهم يحتقرون الضعف - احتقاؤهم الجبن - لانه مظهر الذلة والهوان ، وقد ملئ شعرهم بذكر الشجاعة والبطش والقوة ، واکرم الموت عندهم في ساحات القتال وهم يقتنون الميتة حتف الأنف في غير ميادين القتال ، هذا الخطيئة يحتقر هذه الميتة بقوله :^(٤)

وشر المنايا هالك وسط أهله

كهلك الفتاة يقظ الحي حاضره

(١) العقد الفريد ١٠٥/١

(٢) شرح الحاشية قنبري ٨١/١ . وشرح الحاشية المرزوقي ٣٤٨/١

(٣) الضباب : تشمل وضبة وشبيب . وحل وحيل والحلول . الحلات القازلة

حولهم وفيهم .

(٤) ديوان الخطيئة ص ٤٥

وقد جاء أدبهم معبرا بصدق عن حياتهم الحربية، فوصفوا الحرب وهولها وإبطلها وصرعها وأدوات القتال فيها، من قنا وصوارم ودروع وسهام وقسي^(١).

وهذه الحروب المستمرة المهلكة لا بد أن تنكشف عن صرعى من كلا الجانبين المتقاتلين، ودم القتل لا يذهب هدرا، بل لا بد من الثأر الذي به وحده تطفأ غلة الموتور ولا يغسل الدم إلا الدم، فأما الدية فكانوا يرونها ذلا ومهانة لا يرضى بها إلا الذليل وقد كان من حرصهم على اخذ ثأر القتل أن توهموا حوله الأساطير، وذلك ما عرف عندهم بالصدى والهامة، يقول الشاعر^(٢):

يا عمرو الاندع شتمي ومنقصتي

اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقد بلغ من كلفهم بالثأر أنهم كانوا يتجانون النساء والخمر والطيب لأنها ضرب من الشنع والبهجة لا يليق بحزين موتور، أو لأنها قد تلهي وتشغل عن الجد في الثأر^(٣)، ولا شك أن الثأر شر كله. فأكثر الحروب، وجل أيام العرب، قامت على الثأر أو بسببه وقد تنتهي الحرب ويتبدل الزمان، ويتغير الناس، ينسون كل شيء. إلا الثأر فإنه يغلي في الصدور (وتبقى حزازات النفوس كما هي) وإن جريرة الثأر لا تقتصر على القاتل نفسه بل تصيب أبناءه، وأخوته، وأسرته، وكل فرد في قبيلته.

(١) راجع الحياة العربية - فصل الحرب - ص ٢٣٠-٢٧٦

(٢) أمالي القائي ١/١٢٩

(٣) الحياة العربية في النمر الجاهلي ص ٢٠٦

وإذا كان هذا مذهب العرب في الثأر والغلو بسفك الدماء ، فانهم لم يعمدوا من كان يدعو الى السلم ، ويحث على حقن الدماء ، وتحمل الديات ، كما فعل هرم بن سنان والحارث بن عوف حين اصلحا بين عبيس وذبيان ، وتحملوا ديات القتلى^(١) ، وكما صنع زهير بن ابي سلمى حين ندد بالحرب وكرهها الى الناس ، وحبيب اليهم السلم والمودة والصفح والتسامح وقد خصص جزاء غير يسير من معلقته لذلك ، وكما فعلت بهيسة بنت أوس الطائي حينما تزوجها الحارث ابن عوف ، ورفضت ان يقربها حتى يصلح بين عبيس وذبيان ، واحتمل الديات مع هرم بن سنان^(٢) .

وكان العرب يحرصون على المثل العالية والحصول النبيلة ، ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها ، ومن تلك الحاصل حفظ الجوار والوفاء بالعهد فهم يحرصون على جازم حرصهم على شرفهم ، سئل اعرابي عن مبلغ حفاظ قومه فقال : « يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه »^(٣) .

ويتمدح قيس بن عاصم بقومه فيقول :^(٤)

لا يفطنون لعيب جازمهم وهم لحفظ جواره فطن
وقد فطنوا لحصل الخير فدكروها في نحرها ، معتزين بنسبتها اليهم ، كالنجدة وحماية الضعيف ، والمفوة عند المقدرة والحلم والتسامح ،

(١) الشعر والشعراء ، ص ٦٦ ط أوروبا

(٢) الرائد في الشعر الجاهلي ص ٦٣

(٣) المقد الفريد ١٠٥/١

(٤) شرح الحاشية لغردوقي ١٠٥١/٤ ط هارون واحد امين ١٩٥٣/١٣٧٢

وكانوا مع ذلك يأبون الضيم ويأنفون من الذل والهوان ، ولورد كبيراً
في سبيل ذلك المخاطر . وليس يبعد ما ذكر عن عمرو بن كلثوم أنه
أصاح برأس الملك انفة من أن تذلل أمه^(١) . وقد علمتهم بيثهم القاسية
الصبر والجلد واحتمال المصائب ومضاء العزائم .

تلك الحصال كانت إذا لم يشتطوا فيها ، خصال خير وشرف ،
على أن هناك آفات ينخر منها جسم المجتمع العربي ، ومنها الخمر
والميسر .

كانت الخمر عندهم من ثم متع الحياة ، وقل أن تجد شاعراً في
الجاهلية لا يذكر الخمر فهي مظهر من مظاهر الفتوة والشباب والقوة ،
يقول حسان بن ثابت :^(٢)

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسد ما ينهنا اللقضاء
كانوا يشربون الخمر لأنها تهز الأريحية ، وتبعث على الكرم ،
يقول عمرو بن كلثوم :^(٣)

تري الماحز الشحيح إذا أمرت عليه لمانه فيها مهينا
وقد عني العرب بالخمر وبجالسها ، فوصفوها مدققين بوصفها ، وذكر
أنواعها وكؤوسها ونذمانها ، وكانت مجالس الخمر تستكمل بالفناء ،
حيث تغنى القيان أو ترقص في هذه المجالس ، وذكروا أن عبد الله
ابن جدمان كانت له قيتان عرفتا بأجرادتين ، كانتا تغنيان في مجالس

(١) الألفي ٥٣/١١ ط الدار - والشعر والشراء ص ١١٨-١١٩

(٢) ديوان حسان ص ١

(٣) شرح المعاني لتبريزي ص ٩-١٠ ط لابل ، العز : البخل أو السهم الخفق .

أمرت : أدبرت .

شربه وقد وهبها لأمية بن أبي الصلت حيث كان قد مدحه^(١)، وكان من العرب من يدمن شربها ، فتعبت بعقله وسلوكه ، حتى تضيق به قبيلته فتخلطه متبرئة من جرائره ، مثل ما برئت كنانة من البراض ابن قيس ، إذ كان سكيراً فاسقاً^(٢)، وكذلك كان طرفة حيث يشير الى ان قبيلته قد تحامت ، وافردته كما يفرد البعير الاجرب ، لاسرافه في الخمر والمجون ؛^(٣)

وما زال تشرابي الخمود ولذني

وبيعي وانفاقي ضربي ومنلدي

الى ان نحاتني العنيرة كلها

وافردت افراد البعير المبد

على ان من عقلاء العرب في الجاهلية من اعرض عن الخمر وترفع عن شربها ، لما تفعله في الانسان من ذهاب العقل والعلم والوقار ، وما تجليه من مهانة وطيش وسفه ، ومن اولئك الذين هجروا الخمر العباس بن مرداس ، وقيس بن عاصم ، وكثير من الصحابة كعثمان ابن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف وأبي بكر ، وعثمان بن مظعون ، وغيرهم ، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة انها قالت : « ما شرب ابو بكر رحمة الله عليه خراً في جاهلية ولا اسلام »^(٤) ، وقد قيل للعباس ابن مرداس في جاهليته : « لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جراتك »

(١) الاغانى ٣٢٧/٨ ط الدار

(٢) الاغانى ٧٥/١٩ ط ساسي

(٣) شرح المثلقات لتبريزي ص ٤٢

(٤) كتاب الاثرية - ابن قتيبة ص ٢١ ط دمشق ١٣٦٦/١٩٤٧ تحقيق

محمد كرد علي .

فقال : ما أنا بأخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي ، وأصبح سيد قومي وأمسى سفيهم^(١) ، وقد ذكر أبو الفرج :^(٢) انه ما مات أحد من كبار قريش في جاهلية إلا ترك الخمر استحياء مما بها من الدنس . اما نساؤهم ، فلم يعرف ان امرأة منهم شربت الخمر في جاهلية ولا اسلام^(٣) .

وإذا ذكرت الخمر فيذكر معها القمار والميسر ، وقد تمدحوا بالميسر لانه وسيلة من وسائل الانفاق والكرم واطعام الفقراء ، وأكثر ما يفخرون به عند البرد والقطط . فقد كانوا يعطون الفقراء وذوي الحاجة نصيبهم من الجزور حين يربحون ، وكانوا يرون ان من كمال الفتوة والكرم ان يقامر المرء ، ويذمون من لا يدخل معهم في الميسر ويسمونهم (البرم) يريدون به البخيل عديم المروءة . قال لبيد يمدح قومه بلعب القمار :^(٤)

وبيض على النيران في كل شتوة

سراة العشاء يزجرون المسابلا

كان فتيان الجاهلية يفخرون بانهم يتعاطون الخمر والميسر ، ويتمتعون بالنساء ، وتكاد تكون هذه الامور الثلاثة من مظاهر الفتوة عند بعض شبانهم ، وقد جمعها النخل البشكري في قصيدته الرائية التي أولها :^(٥)

إن كنت عاذلتي فسيري نحو العراف ولا تحوري

(١) كتاب الانربة ص ٢٥

(٢) الاغانى ٢٣٢/٨

(٣) كتاب الانربة ص ٣٠

(٤) الحيوان ص ٢٤٩ - سراة العشاء : وقت الضيف . المسابل : الفداح .

(٥) شرح الخناسة للرزوقي ٢/٢٩٦-٢٩٩ ط هارون

وتشتمل خلال الفتى من هؤلاء في شخص طرفه الذي قرن بين
الحمر والفروسية والتمتع بالنساء ونولا هذه الحصال الثلاث لما حفل
متى قام عنه المائدون :^(١)

فلولا ثلاثُ هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عودي^(٢)

فهنن سبقُ العاذلات بشربة
كفيت متى ما تُعل بالساء تزد
وكرى اذا نادى المضافُ محباً

كسيد الفضا نبيته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب

ببهاكية نحت الطراف المعمد

لقد كانت متع الجاهلية متلازمة يكمل بعضها بعضاً ، وقد كان
من أسباب تكوص الاعشى عن الاسلام ، أن أباسفيان تصدى له
وهو في طريقه الى المدينة ليسلم - وقد أعد قصيدة في مديح رسول
الله صلى الله عليه وسلم - فقال له : ان محمداً يحرم الحمر والزنا والقمار
فصرفه عن الاسلام^(٣) .

لقد مر بنا أن المرأة كانت من متع الشباب في الجاهلية ،
والمرأة هنا هي القبيصة والجارية ، اما الحرة فقد كان لها منزلة رفيعة

(١) شرح القصائد العشر - النبريزي ص ١٤ - ط لايل

(٢) اللود : من يحضره عند المرض . المضاف : الذي نزلت به الهوم . الخشب :
فرس يمد ما بين الرجلين . السيد : القديس . المتورد : الذي ورد الماء . البهكة : المرأة
التامة الخلق .

(٣) السيرة النبوية ١/ ٢٨٦ وما بعدها ، الاثني ٩/ ١٢٦ ط الدار

في نفوسهم ، فقد كانت تشارك الرجل في كثير من الاعمال تربي الاولاد ، وتخرج الى القتال تضمام الجرحى وتغزل وتنسج ، ومنهن من تعترف بتجميل النساء او ارضاع الاطفال وتوليد النساء او تقويم الرماح ، ومنهن من تنسج الثياب وتصلح الخيام وتطهي الطعام وتعمل في الحقل كما يعمل الرجل ، ومنهن من ترعى الماشية وتطلي الابل الجرب وتجنى الكمأة وتغلب اللبن ، الى غير ذلك من الاعمال والصناعات^(١) ومنهن الشريفات الموسرات اللواتي تخدمهن الجوارى فتكفين هذه الاعمال ، وكان الكثير منهن سافرات يقابلن الضيفان ويجلسن اليهم في حشمة ووقار ، وكان لبعض النساء من بنات الاشراف حق في اختيار ازواجهن ، على نحو ما عرف عن هند بنت عتبة حين استشيرت في خاتمتها اي سفيان^(٢) . واذا حدثت الحرب فانها تخرج - في بعض الاحايين - الى ميادين القتال ، لتثير همم الرجال ، وتحرضهم على الاستماتة وتشددهم الانشيد الحماسية ونهى لهم النبال وتضمام الجرحى وتسقي الماء . وكانت سببا في اثارة كثير من المارك ، فتدفع الرجل الى طلب الثار وتمير القاعدين عن ذلك ، قالت ام عمرو بنت وقدان تعرض قومها على الثار لاختيها^(٣) :

فان اذنتم لم تطلبوا بأخيكم

فذرّوا السلاح ووحشوا بالابرق

(١) انظر (صناعات المرأة) في الحياة العربية الدكتور الحوفي ص ٣١٦-٣٢٩ للطبعة الاولى .

(٢) المال الثاني ١٩٨/١

(٣) شرح الحاشية للمرزوقي ١٥٤٦/٣ وحشوا : اطلبوا سيد الوحش . الابرق مكان فيه حجارة سود وبيض ، المجاهد : الثياب المنسوجة بالجناد وهو الزعفران يقب النساء : ازهرن .

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا

نقاب النساء فبئس رهط المرهق

وقد نزلت المرأة من نفس العربي منزلة رفيعة، فهي الام والاخت
والبنت والحبيبة، وقد عني الشعراء بها عناية كبيرة فهي مصدر
الهامهم، يذكرونها تنشط القرائح وتهيج المواضع وتهتز النفوس،
وم يفتتحون القصائد بمخاطبتها ومناجاتها، ويقفون على ديارها وقفة
شوق وذكري، ويشونها اشواقهم واحاسيسهم، ويذكر الشعراء
المرأة على انها الحريصة على البيت الحافظة للمال التي تلوم على
الاسراف والتبذير يقول حاتم: ^(١)

أماوى ان المال غاد ورائح

ويبقى من المال الاحاديث والذكر

أماوى انى لا اقول لائل

اذا جاء يوماً حل في مالنا نذر

ومها يكن من شيء، فان مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي - وفي
غير الجاهلي - دون مكانة الرجل بكثير، والعرب تحب الذكور
لانهم جنود القبيلة ورجالها الحماة، اما المرأة فلا تغنى في الحرب شيئاً،
بل تكون عبثاً على القبيلة لانها مقصد الاعداء يريدونها سبية، وسبى
المرأة عندهم عار لا يسكت عنه، ولا يقعد دونه، الا الوغد الذليل،
وليس ادل على بغضهم للاناث من قول الله تعالى يصف حالهم: «واذا
بُشِّرَ أحدكم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم

(١) ديوان حاتم الطائي ص ٣٩ ط لندن ١٨٧٢

من سوء ما بشر به ، أيسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء .
 ما يحكمون^(١) » وقد كان منهم من يتخلص من الاناث بوأدهن
 - كما تشير الآية الكريمة - خوف الفقر أو خوف العار ، وقد نهى
 الاسلام عن هذه العادة البغيضة وتندبها عليها فقال تعالى : « ولا تقتلوا
 أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم وإن قتلهم كان خطأً
 كبيراً »^(٢) على أن حوادث الوأد كانت قليلة ومحصورة في قبائل من
 الأعراب الجفاة ، من مثل اسد ونعيم ولم تكن عامة في القبائل^(٣) وكان
 من العرب من ينكر هذه الفعلة ، ويبذل المال ليفتدي المؤذات ،
 كما كان يفعل صمصمة بن ناجية ، قال الفرزدق يفخر بفعل جده :^(٤)
 ومن ذا الذي منع الوثائد ت وأحيا الوثيد فلم توأد
 تلك حال المرأة الحرة ، أما الأمة فهي دون الحرة منزلة ، وأكثر
 الاماء^(٥) من السبي أو الرقيق ، ومنهن القيان والجواري اللواتي
 يكنثن في حوانيت الخمارين ، وكن متعة السكارى والفساق من
 اصحاب اللهو والمجون .

وقد جاء الاسلام فأكرم المرأة - أمة وحرة - فدعا الى العناية بها
 والعطف عليها فحرم أن تعضل أو تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها ،

(١) سورة النحل ٥٨-٥٩

(٢) الاسراء ٣١

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٩٢-٣٠٤

(٤) الكامل - المبرد ٢٧٢ ط لا يترك ١٨٦٤ ، وديوان الفرزدق ٢٠٣/١

ط الصاوي ١٢٥١/١٩٣٦

(٥) يفرق الدكتور الحوق بين الباياء والاماء ، قالبايا عرييات يؤخذن سرا

في حرب أو غارة وتمنهن الدم ، اما الاماء فغير عرييات يشتريهن بالمال للخدمة والتسري

المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٨٩ ط اولي .

كما حرّم أنواعا شائعة من الزواج ، كانت عند الجاهليين ، منها نكاح المقت^(١) ونكاح الشغار^(٢) والجمع بين الاختين وان كانوا يكرهونه وينهى بعضهم عنه^(٣) كما نهى الاسلام عنه^(٤) .

وعلى كل حال فان مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي - على ما فيها من الهنات والمساوى - مكانة كريمة ، والمرأة نفسها عرفت بالعفة والادب والحرص على شرفها وكرامتها ، وهذا أمر طبيعي في مجتمع يتبوأ فيه المرض والشرف المكانة العليا ، ويحرص العربي فيه على عرضه حرصه على الحياة .

(٣)

أما مكاسبهم وحياتهم المعيشية ، فلم يكن حظ العرب من الرزق يختلف عن حظوظ الأمم الأخرى من اختلافهم في الموارد والمكاسب ، فسكان المدن العامرة في اليمن ومكة ويثرب والحيرة غير سكان البادية الموغلين في الصحراء ، وسكان المدن أنفسهم يختلفون في مستوياتهم المعيشية ، فمنهم التاجر الثري ، ومنهم العبد الرقيق ، ومنهم المسكين الضعيف ، وآخرون بين هؤلاء . وهؤلاء ، وفي البادية أغنياء موسرون ، وفقراء مرملون ، وكذلك حياة الناس منذ كانوا حتى

(١) وهو ان يخلف على المرأة الابن الأكبر لزوجها - الاناثي ٩/١ . وكان الجاهليون انفسهم يتكرونها هذا المقرب من النكاح . وكانوا يسون الولد منه (مقتى) او (مقتى) وقد حرّموا ضرروا اخرى من الزواج على انفسهم . وقد اقر الاسلام هذا التحريم الطهر - محمد بن حبيب ص ٢٢٥

(٢) ان يتكح الرجل وايت رجلا ، ويتكح هو واية ذلك الرجل بلا مهر . لسان العرب وناج المروس . ونهاية الارب ٢/٢٤٥
(٣) الخلل والخلل - الشهرستاني ٣/٣١٧
(٤) سورة النساء ٢٣

اليوم . والذي يلاحظ ان الاحوال المعيشية في البادية قبيل الاسلام وaban ظهوره ، كانت تنحدر من الرخاء الى الشدة والعسر ، وآية ذلك ان الحاجة والعوز وسوء الحال ، دفعت بعض الاعراب ان يتظاهروا بالدخول في الاسلام لارغبة في الايمان بل طمعا في العطاء ، كما توضح الرواية التي نقول : « ان نفرا من بني أسد ثم من بني الحلاف ابن الحارث ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المدينة في سنة جدبة ، فظهروا شهادة ان لا اله الا الله ، ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وأفسدوا طريق المدينة بالعدرات وأغلوا الاسعار ، وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : انتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجثناك بالاثقال والعيال - يمدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم نقانلك كما قانلك بنو فلان وبنو فلان ... ويريدون الصدقة ويقولون : اعطنا ، فأمر الله سبحانه فيهم : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ... الآيات »^(١) وقد بين القرآن الكريم التباين في الحياة المعيشية حين ندد بالذين يتعاطون الربا ، والذين يخشون الكيل والميزان والذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، وبخاصة في مجتمع مكة .

وقد قسم بعض المؤرخين المسلمين العرب الى مراتب : فهم ملوك وغير ملوك ، وهؤلاء ، اهل مدر واهل وير واهل المدد قيمان : زراع وتجار . اما الصناع ، فكانوا قلة ليس لها اثر واضح ، قال : « واما سائر عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين : اهل وير واهل مدر ،

(١) نهاية الارب ٣١/٨ وسورة المجرات ١٤

فاما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض للتجارة، واما أهل الوبر، فهم قطان الصحارى، وكانوا يعيشون من البان الأبل ولحومها منتجين متابت الكلال ومرتابين لمواقع القطر فيخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وامكنهم السرى، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتقاء المياه، فلا يزالون في حل وترحال»^(١)

ان الحياة في الجزيرة العربية موقوفة على الامطار وما تدره عليهم السحب في مواسم معينة، وهي قليلة على أي حال، ولذلك لم يتيسر للبادية أن تقوم فيها زراعة منتظمة بل نشطت الزراعة في المناطق التي تتوفر فيها المياه من العيون والآبار والامطار، فعرفت الزراعة في الجنوب والشرق ومدن وقرى الحجاز، مثل الطائف ويثرب وخيبر ووادي القرى. وقد صور القرآن الكريم حياة نود الزراعية المستقرة في غابر الزمان، قال تعالى: «أنتزكون في ما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم، وتنتحون من الجبال بيوتا فارحين»^(٢) كما وصف المؤرخون المدن والقرى الزراعية التي كانت قبيل الاسلام، منها القرى المشهورة التي مر ذكرها، ومنها الواحات والقرى المنبثة في أنحاء من الجزيرة، وفي كتاب (أسماء جبال تهامة وسكانها) وصف لكثير من هذه القرى، قال المؤلف يصف قرية الصفراء: «قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون

(١) مختصر المؤرخ - ابن العبري ص ١٥٨-١٥٩ وكذلك طبقات الامم - صاعد

الاندلسي ٦٦-٦٧

(٢) الشعراء الآيات ١٤٦-١٤٩

كلها « وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري الى ينبع »^(١). وقال في وصف قرية السوارقية انها قرية « غناء كثيرة الابل » وذكر حاصلات بني سليم : « فيها مزارع ونخيل كثيرة وفواكه » من موز وتين ودرمان وعنب وسفرجل وخوخ « ثم بيتن ما عندهم من ابل وخيل وشاء كثير »^(٢)، وكذلك الامر في قرى كثيرة كالفرع^(٣) وخيف سلام^(٤) وغير ذلك ، وعلى كل حال فان الزراعة حرفة الحضر في المدن والقرى وما حولها . أما أبناء البادية فكانوا ينظرون الى الزراعة على انها عمل أهل الذلة والموان ، فهم ينالون أرزاقهم بأطراف القفار والسبوف ، يسمى للحرب منهم شباب مرد على خيل جرد ، وقد صور الاعشى هذه النزعة حين عيّر أباداً بالزراعة فقال :^(٥)

لسنا كن جعلت أباد دارها نكرت فنظر حبها أن يحصدا
قوما يمـالـج قـلـا أبناؤهم وسلاسل أجدا وبابا موصدا
ونظرتهم المترفعة هذه عن العمل الزراعي ، جعلتهم قوما متكئين على الغيث ، متبعين لمواقعه ، فتى اهتزت بقاع الارض وربت رعوا أنعامهم في زرعها ، وشربوا من ريعها ، حتى إذا انسوا مراعي آخر تنبعوها وسموا اليها ، فهي قوام حياتهم - بعد الفزو - وحياة أنعامهم وسواء عليهم أكانت تلك المراعي في أرضهم وحمام ، أم كانت

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها - عراب بن الاصمغ السلمي ص ٨ - تحقيق عبداللهم هارون ١٩٣٧ .

(٢) أسماء جبال تهامة ص ٦٥

(٣) المصدر السابق ص ١١

(٤) نفس المصدر ص ٣٥

(٥) ديوان الأعشى ص ٢٣١ ط محمد حسين - ايديا : موقفة .

في أرض غيرهم ، ومثلهم في ذلك قول القائل^(١) .

إذا سقط الـحـاء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
ولذلك نجمت الحروب ، وكثرت المعارك ، بسبب المراعي
والمياه .

وقبل أن أذكر التجارة عمل العرب الكبير ، أود أن أنتهي من
ذكر الصناعة ، لأنها ضيقة النطاق ، ومحصورة في الحواضر والمدن ،
وقليلا في البادية . أن البادية كانت تنظر إلى الصناعة - نظرتها إلى
الزراعة - نظرة ذراية واحتقار ، أن نفوسهم لتأبى الامتثال بها ، وكما
غير الأعشى إذا يزارعتها " فقد عيّر عمرو بن كلثوم النعمان بن المنذر
- وهو على ملك الحيرة - بأن أمه من أسرة تمتن الصباغة ، قال عمرو :^(٢)

لعا الله أدنانا إلى اللؤم زلفة والامنا خلا واعجـزنا إيا
واجدرنا أن ينفخ الكبر خاله يصوغ القروط والشنوف يثيرها
وقد كان جرير - فيما بعد - يلح على الفرزدق بتذكيره أن أحد
أجداده كان قينا^(٣) . هذه عقلية البادية أما الحاضرة فنظرتها إلى
الصناعة أهون من ذلك وإن كان الأشراف يترفعون في جاهليتهم
عن الصناعة . وكان اليمينيون أعرق في الصناعة وأكثر خبرة ودراية
من المضربين ، فأهل اليمن صناع مهرة ، ومن الصناعات التي أجادها
اليمينيون صنع الأسلحة من سيوف ورماح ودروع ، وقد شهرت

(١) الروض الأنف ١٧٤/٢ ، والشاعر هو معاوية بن مالك ممدود الحسكاه
عم لبيد .

(٢) نهاية العرب ٨٢/١

(٣) النفاث من ٤١٣ ط ليدن

ينسبها الى صانعيها ، او الى أما كن صنعها ، فقالوا : السيوف
اليانية ، والرماح الردينية ، والقنا السميرية .

وفي الشمال كانت بعض الصناعات ، كنسج الثياب ، وعمل
الزبد والسروج والصياغة ، وخاصة في مكة والمدينة .

اما البناء ، فما كان متقدما بشكل ملحوظ ، وكانوا يستعينون
بعمال من الفرس والروم في تشييد ابنيتهم المهمة ، كتجديد الكعبة
او توسيعها ، ويقال ان معاوية بن ابي سفيان لما اراد ان يبني دوره
التي يقال لها (الرقط) في مكة ، حمل لها بنائين من فرس العراق
فكانوا يبنيونها بالحص والاجر^(١) ، وكذلك بنيت القصور في الحيرة
كالخورنق والسدير .

اما التجارة فكانت المهنة المربحة التي عرفها العرب وبرعوا فيها ،
وهي مهنة الحضرة المتعلمين ، ولم تكن ظروف البادية ولا طباع اهلها
تعين على ان يبرعوا فيها ، ولكن بعضهم كان يعمل دليلا يرشد القافلة
ان تضل في مجاهل الصحراء^(٢) ، او خفيرا حاميا يمنعها من النهب
والغارة^(٣) . وقد نشطت التجارة اول الامر في اليمن فامتدت تجارتهم
بين الهند شرقا الى افريقية غربا ، والى بلاد الشام والروم شمالا ،
حتى اذا ما هددت السيول سد مأرب وسامت حركة السوق
واضطربت الاحوال السياسية ، كسدت التجارة وانتقل النشاط
التجاري الى ايدي القرشيين في مكة ، فكانت قوافلهم تجوب

(١) الاغانى ٢٨١/٣ ط الدار

(٢) الخبر من ١٨٩١ - والمنازي - الواقدي من ٨٦ ط مكنة

(٣) الخبر من ٢٦٤ ورسائل الجاحظ من ٦٥ ط بولاق

الصحراء شمالا وجنوبا ، حيث رحلنا الشتاء والصيف الى اليمن شتا .
والى الشام صيفا ، والى ذلك تشير الآية الكريمة : « لا يلاف قريش
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف »^(١) . وكذلك تسير تجارتهم الى الحبشة
غربا والى الحيرة وبلاد فارس شرقا ، وان فريقا من تجار قريش بلغوا
بتجارتهم اقاصي بلاد العرب والعجم ، فهاشم متجره الشام ، وعبد شمس
متجره الحبشة ، وعبد المطلب الى اليمن ، وتوفل نحو العراق^(٢) .

ولا شك ان هذه الرحلات كانت تحيط بها المصاعب والمخاطر ،
ولا تنتهي الى غاياتها الا بشق الانفس ، وذلك لبعده الشقة ، ووعورة
الطريق ومجاهل الصحراء ، وغارات اللصوص من ذؤبان العرب
وصعاليكها ، وبخاصة من ذؤبان فهم وهذيل .

وقد كانت القوافل من الكثرة والضخامة بمكان حيث بلغت
احداها خمسمائة والف بعير^(٣) كما بلغت احدى قوافل قريش الفين
وخمسمائة بعير ومائة رجل - على ما ذكر الطبري^(٤) - ولاهمية هذه
القوافل ، وكثرة حمولتها ودوابها ، فقد كانوا يؤمنون الطريق ،
فيرسلون الرواد والمستظلمين قبل الرحيل ، حتى يتعرفوا اخبار
الطريق ، كما حدث في غزوة بدر ، فقد علم اولئك الرواد أن
المسلمين يترهبصون بقافلة قريش فأسرعوا الى مكة واستنفروا أهلها^(٥) .
وكانت هذه القوافل تحمل الطيب والبخور ، واللبان ، والجلود

(١) قريش ١-٢

(٢) المعبر ١٦٢ ، والسيرة ١٧/١

(٣) الفنازي ص ٢٠

(٤) الطبري ٢٦١/٢ ط الحسبية

(٥) السيرة ٢٦٠/٢

والشباب العدنية ، وتوابل الهند ، كل هذه البضائع من اليمن والهند
وافريقية الشرقية ، وتأتي من الصين الجلود والمعادن والحديد^(١) ، ومن
الجبشة الرقيق والصمغ والعاج ، ومن العراق وفارس التمر والشعير^(٢) .
ويحملون من الطائف الزبيب ، ومن مناجم بني سليم الذهب ، يحملون
كل ذلك الى بلاد الشام ، ويعودون حاملين الاسلحة والقمح والزيت
والخمر والشباب القطنية والكتانية والحريية وغيرها^(٣) .

وكانت قوافل قریش تحمل الفضة (او القزدير) حيث استولى
المسلمون في غزوة بدر الموعد (سنة اربع للهجرة) على قافلة لقریش
فيها اموال ابي سفيان بن حرب ، ففخر بذلك حسان بن ثابت وعبر
قریشا الهزيمة ، فلما كان يوم احد ، رد ابو سفيان بن الحارث على
حسان بقصيدة منها هذا البيت :

حسبتم جلاد القوم عند قبايهم
كماخذكم بالعين اوطال آنك

فقال ابو سفيان بن حرب يعاقب ابا سفيان بن الحارث : « يا ابن
اخي لم جعلتها آنك » ان كانت لفضة بيضاء جيدة^(٤) من كل ذلك
نعرف ان قوافل قریش كانت تحمل الفنى والثراء والمال النفيس .
وقد استطاعت قریش^(٥) ان تجمل من مكة مراكز تجاريا مهما ،

(١) حضارة العرب - جوستاف لوبون ص ١٠٦

(٢) السكامل - ابن الانبر ٢٢٨/٢ ط زيد

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (مكة)

(٤) طبقات الشعراء ص ٢٠٨ - الانك : القزدير

(٥) لقد برعت قریش في التجارة وحذفت شئونها فسميت بهذا الاسم من تغرش

المال قيل : (سميت بذلك لانهم كانوا اهل تجارة ولم يكونوا اهل زرع ودرع ، من
قولهم فلان يتغرش المال ، اي يحبس) (لسان العرب) (غرش) .

تكدست فيه الاموال وكثرت فيه الثروة « وذلك لما كانت تتمتع به من مكانة دينية مقدسة ، لانها صاحبة البيت وسادنة الكعبة ، وأرضها حرام وحرمة آمن ، لا يحل فيه قتال ولا غزو^(١) . وقد عقدت مع كل ذلك محالفات مع القبائل المجاورة ، ولم يكن بينها وبين غيرها ثارات وأحقاد ، وما كانت تسمح لشعرائها أن يتعرضوا بالهجاء لغيرهم ، بل هي تضرب على أيدي شعرائها المجانين من مثل عبد الله بن الزبيري ، وتنكر أن يهجو بعضها بعضاً^(٢) ، ولم تعرف مكة بكثرة الخصومات والحروب ، فابن سلام يفسر قلة شعر المكيين في أنهم : (لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا)^(٣) ، اللهم إلا أن تدفع الى القتال دفعا كما حصل في حروب الفجار ، وقد استطاعت قريش أن تنشر الأمن والسلام في أرضها ، بحلف عقده وأسمته (حلف الفضول) ، كل ذلك هيأ لها الجو الطيب كي تنشط تجارتها فترتاد الصحاري والبادي في أمن وطأينة ، وهذا من فضل الله على أهل بيته ، فقد قال سبحانه : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »^(٤) . قال الزمخشري في تفسيره لسورة قريش : « وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف الى الشام ، فيمتارون ويتجرون ، وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم أهل حرم الله وولاية بيته ، فلا يتعرض لهم ، والناس غيرهم يتخطفون ويقار عليهم » قال تعالى : « أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيب اليه ثرات كل شيء ، رزقاً

(١) تاريخ البقوى ٢٨/١ ط اوربا

(٢) السيرة ٤١٨/٢

(٣) طبقات الشعراء ص ٢١٧

(٤) قريش ٣-٤

من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون»^(١)

وكان للأسواق الأثر الكبير في رواج التجارة وتبادل السلع ، وأهم الأسواق كانت تقام على مقربة من مكة ، كعكاظ ومجنة وذى الحجاز ، والعرب تسعى إلى هذه الأسواق من كل حذب وصوب ، ليشهدوا منافع لهم ، ويتأشدوا الأشعار ، ويذيعوا الخطب ، ويتحاكموا في خصوماتهم ، ويتفادوا الأسرى ، ويعقدوا الصلح ، أو يتفاخروا بالأحساب والحامد والأعجاد .

ولم تكن هذه الأسواق محصورة في منطقة واحدة ، بل كانت تقام في قلب الجزيرة حيناً وفي أطرافها في حين آخر ، وفي أوقات معينة معلومة ، ومن أسواقهم المهمة : سوق دومة الجندل في شمالي نجد ، وسوق خيبر ، وسوق الخيرة ، وسوق الحجر باليمامة ، وسوق صحار ودبابستان ، وسوق المشقر بهجر ، وسوق الشجر ، وسوق حضرموت ، وسوق صنعاء وعدن ، ونجران ، وغير ذلك من الأسواق الكثيرة^(٢) . وقد كان لهذه الأسواق الأثر الكبير في تنشيط حركة التجارة وازدهارها ، كما كان لها الفضل في توافق العادات وحل المشاكل وامتزاج ثقافات أمم مختلفة ، وقد ساعد كل ذلك على الرقي العقلي والحضاري .

(٤)

وأينما فحماصاً بأن الحواضر كانت تعنى بالزراعة والصناعة والتجارة ، أما البوادي فما كان بتقدورها ذلك بل انصرفوا لاكتساب

(١) تفسير الكشاف ٤٨٧/٢ ط بولاق حجر ٨١٢٨١ وسورة القصص ٥٧

(٢) الأزمعة والأمكنة - الباب الأربعون ص ١٦٩-١٧٠ وانظر الحجر ص ٢٦٣

العيش من غير هذه الموارد - مرت جملة منها في سياق البحث - ونذكر هنا عنايتهم بالانعام مصدر الكسب والحياة ، وأهم حيوان البادية وأكثره نفعا وأشدّه احتمالا لقسوة الصحراء ، الأبل - كانت الأبل عماد الحياة عند العرب « يأكلون من حومها ، ويشربون من لبنها ، ويكتسبون من أوبارها ، ويصنعون بيوتهم منها » وعليها يحملون أثقالهم ويرحلون ، قال الله سبحانه في ذكر الانعام وما جعل فيها من منافع لعباده : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين ترحلون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم »^(١) وقال سبحانه : « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين »^(٢) . وقد أفاد العربي من الأبل كل فائدة فلم يترك منها شيئاً إلا وجعل لنفسه فيه النفع فقد صنع من جلدها الأخفاف والقرب والسيور والانساع ، واتخذ من عظامها ألواحاً يكتب عليها ومن بعرها وقوداً يصطلي بناره وينضج به طعامه ، وإذا اشتد المحمل ونزل الجذب فكان يصنع من وبرها ودمها بعض الأظمة مثل (الملوز)^(٣) . والأبل عند العرب خير المال ، بها يقومون البضائع ويشمنونها ، وبها يتقايضون ويفتدون الأسرى ويدون القتلى ويدفعون المهور للزواج ، ويدفعونها عطايا حين تهتز أريحياتهم . وكما أفاد العرب من الأبل هذه الفوائد الكثيرة

(١) سورة النحل ٧-٥

(٢) سورة النحل ٨٠

(٣) كتاب الأثرية - ابن قتيبة ص ٢٢

فكذلك عنوا بها عناية فائقة ، كانوا يطلبون لها أجود المراعي ، ويتخيرون مواطن الدف ، لتوليدها ، واهتموا بأسمائها وصفاتها . وحر كاتها ، فوضعوا لكل عضو من أعضائها اسماء . وكثر ذكرها في أساليبهم ، ودارت حولها تشبيهاتهم واستعاراتهم وضربوا بها الأمثال « ونظموا فيها القصائد » وخطبوها وناجوها وبشوها اشجانهم وعواطفهم كما يث الحل الحبيب .

كذلك عنوا بالخيال ، لأنها من مظاهر العز والمنعة ، فهي عدتهم عند الغارة « ومكسبهم في الفوز والحرب » وكانوا يرسلونها على الطريدة وفي السباق ، وقد اهتموا بأنسابها وأنسالها وسموها بأسماء . اشتقوها من صفاتها أو ألوانها ومن شياتها ، مثل النمامة والحرون ، وقرزل ، والجون ، وداحس ، والغبراء ، وغير ذلك . وكانوا يقربونها الى مساكنهم ويبنون لها الخطائر ويفضلونها في الطعام . وان اعدم ليجيع عياله ويؤثر فرسه بالطعام ، قال اعدم في فرسه (سكاب) : ^(١)

ايبت اللعن ان سكاب علق نفيس لاتعار ولا تباع
مفـداة مكـرمـة عـينا يجاع لها العيال ولا تجاع

وللعرب مكسب اخر من طيب الرزق هو الصيد ، فهم يدربون الكلاب خاصة على اصطياد الفريسة ومطارقتها ، ويتقنصون الحمر الوحشية والبقر والوعول والماعز الجيلي والظبا . ووحوش الصحراء الاخرى .

على ان الصيد كان مكسب الفقراء والضعفاء ، اما الفرسان .

(١) الصحاح (سكب) ١٤٨/١ ، يورخ الارب ٨١/٢ .

وذو الشرف ، فإكانوا يرون الكسب الا في الغزو والغارة ، الذي
هو دأب ذوي البطولة والبسالة والشجاعة. ولذا لك يهجو عمرو بن
معد يكرب بني زياد ، لانهم اهل قنص وصيد ، وليسوا اهل الحرب
والقتال :^(١)

أبى زياد أنتم في قومكم
ذنب ونحن قروع اصل طيب
نصل الحميس الى الحميس وأنتم
بالقهر بين مربق ومكلب
حيد عن المعروف سمى أبيهم
طالب الوعول بوفضة وبأكلب

تلك أم الموارد والمكاسب التي كان عرب البادية يعيشون بها ،
وهم لا شك متفاوتو الرزق ، منهم من يملك مئات من الابل والانعام ،
ومنهم المعدم الذي لا يكاد يجد قوت يومه وبخاصة اذا قل الغيث
واعملت الارض واجدبت الديار ، على انهم كانوا يتقوتون بالقليل
من الزاد والبسيط من الطعام فغذاؤهم الشعير بعامة ، وقد يضاف اليه
التمر واللبن ، وقد يكون جمل هم الرجل منهم ان يقيم اوده
بالاسودين الماء والتمر :^(٢)

الاسودان أبرأ عظامي الماء والتمر دوا سقامي
ومن البدهي ان هذه الحياة القاسية من الشظف والحرمان ، قد

(١) الحيوان ٢/٣٠٩ - ٣١٠ الحميس : الجيش . المربق : السائد بالربة وهي
الروة في الجبل . المكلب : السائد بالكلاب . الوفضة : جبة السهام من ادم

(٢) المتطرف - الابنبي ١/١١١

اكتسبت العربي الصبر وقوة الاحتمال والزهد ، وقد اعتاد هذه الحياة الحثينة واصبح لا يرضى بها بديلا ، حتى انه حين جاء الاسلام وكثرت الفتوح ، واستوطن بعض الاعراب في المدن ، وتحسنت احوالهم المعيشية ، فجددهم بآمون حياة الحضارة ، وعلوها ، ويشتاق بمضهم حياة الجوع والقسوة والحرمان في الصحراء .^(١) قال قائلهم

اقول بالمصر لما سائني شعبي الاسبيل الى ارض بها جوع
الاسبيل الى ارض بها غرت جوع يصدع منه الرأس برقوع

وقد ظلوا أبدا يحنون الى البادية ، يحنون الى أهلها وهوائها ومياهها ورمالها وانعامها ، وبهم عيمة الى البان ابلهم^(٢) . يروى ان النابغة الجعدي دخل يوم ١ على الخليفة عثمان بن عفان ، فقَالَ : « استودعك الله يا أمير المؤمنين » قال : وابن تريد يا أبا ليلى ، قال : الحق بابلي فأشرب من البانها ، فأنسى منكر لنفسي ، فقال عثمان : أتعبا بعد الهجرة يا أبا ليلى ، اما علمت ان ذاك مكروه ، قال : ما علمته وما كنت لا اخرج حتى أعلمك^(٣) . نعم كان النابغة منكرا لنفسه يدفعه الحنين الى البادية حنين الغريب الى وطنه ، وهو ما يعرف اليوم بداء الوطن .

(١) ميون الاخبار - ابن قتيبة ٢٢٢/٣ ط دار الكتب ١٣٤٨/١٢ ١٩٢٠ بالاصل
(مخمس) جوع برقوع : شديد

(٢) فتوح البلدان - البلاذري ص ٤٩١ ط أوروبا

(٣) طبقات الشعراء ص ١٠٦ - ١٠٧ والاغانى ١٠/٥ ط القادر

الفصل الرابع

الحياة العقلية

(١)

ان الصورة التي استقرت في كثير من الاذهان عن العصر الجاهلي، فيها كثير من الضلال والخطأ والاجفاف بحق ذلك العصر، فالذي يقرأ ما كتب ويكتب عن الجاهلية، يخيل اليه ان الامة العربية كانت امة جهل وعمى، قد عزلت عن العالم وعاشت غارقة في بحر من البداوة والفوضى والتوحش وليس لها ماض مجيد يشدها اليه، ولا حاضر قويم يحيى فيها معاني المروءة والهداية^(١). وقد كان لذلك دافعان: حب الاسلام والغيرة عليه أولا، والشعوبية ثانيا.

لقد ذهبت طائفة من الكتاب المسلمين - بدافع من حرصها على الاسلام وغيرةها عليه - تنسقط كل هنة ومثبة في طباع الجاهليين وعوائدهم، فتضخمها وتوسع خرقها «حتى غدت الجاهلية عندم حياة مظلمة سوداء لا خير فيها ولا نفع في اهلها»، ظننا منهم ان ذلك مما يرفع من قدر الاسلام «والاسلام في غنى عن هذه المغالاة»، لانه لا شك في انه رفع العرب طبقات وبرأهم من الوثنية وكثير من

(١) ينظر فجر الاسلام (طبعة المطبعة العربية) ٣٠ حتى ٨٠.

الشروع . على ان العرب في الجاهلية كانوا مستعدين الى ان ينهض بهم الاسلام تلك النهضة العظيمة ، فقد كان منهم عقلاء سارعوا الى الاسلام ، فكانوا حماة ، والامناء عليه ، وناشري الويتة في الخافقين ، وأولئك هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجنوده من أئمة المسلمين ، وقد كان في تلك البيئة من المثل العليا في المروءة والكرامة والشرف والحياء والغيرة والايثار والنجدة والوفاء ، ما اقرها الاسلام وشجع عليها ، وان الاسلام حين تجب رذائل الجاهلية كان قد اقر قضائها ، وبارك في كثير من عواندها التي توافق الاسلام ولا تضاده . هذا هو الدافع الاول الذي نسب للجاهلية كل بدعة والصق بها كل منقصة .

أما الدافع الآخر فهو : الشعوبية التي حمل الفرس رايتها ، تاراً لماضيهم المهان وحمية لدينهم الذي عفى عليه الاسلام ، فافتنوا منذ غدروا بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب يكيدون للعرب ويفترون على تاريخهم وماضيهم ، بل لم يسلم حتى الاسلام من بدعهم وضلالاتهم حيث ادخلوا فيه ما هو برى . منه من مظاهر المجوسية ، وشعائر المانوية ، وشذوذ المزدكية . وكانت الجاهلية اقرب تلك السبل اليهم ، فنسبوا لاهلها كل ضلالة وجردوم من كل مكرومة ، ولا يعبدة ، وعلائن الشعوبية ، وبشار ، في ذلك اليد الطولى ^(١) .

وما زال بعض الباحثين من شرقيين ومشرقيين يرددون تلك الأقوال السقيمة على الرغم من تماقب الاعصار ، يقول خدا بخش

(١) ينظر النقد الفريد ٨٧/٢ - ٨٩

غامزاً شرف العرب :^(١)

« لقد كانت الناحية الخلقية عند الجاهليين في أشد اوقات جزورها قبيل الاسلام فلم يكن اخلاص الرجل لزوجته شديداً ، وكان يدعوها الى معاشرة غيره من الرجال » أما ريتان فيجرد العرب من كل مكانة سياسية وثقافية ودينية^(٢) . ويقول آخر : « ان العصر الجاهلي عصر ظلام حالك »^(٣) الى غير ذلك مما يقال .

ولا أريد هنا أن أضفي على العرب أكثر مما لديهم ، وأصفهم بصفات ليست فيهم ، بل أريد أن أقول : إن العرب امة من الامم لها فضائلها وورذائلها ، مثلها لكل الامم والشعوب فضائل وورذائل ، ولها كذلك نصيب من الحضارة والمعرفة في عهدها الفابر ، فقد ورثت الجزيرة تراثاً جليلاً خلفته الأجيال العربية ، حيث نجد المعالم الناطقة بالمجد العريق ، وبخاصة في القسم الجنوبي من بلاد اليمن السعيدة . فقد قامت دول معين وسبأ وحميز ، وفي الحجر حيث وجدت حيان ونمود ، وفي بطرا ازدهرت دولة الأنباط . والقرآن الكريم - وكفى به شاهداً - يصف دولة سبأ وما كانت عليه من ترف وفعمة ، قال تعالى : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور »^(٤) .

وقد أشاد المعنيون بالحضارة الشرقية من الاوربيين ، فشهدوا

Khuda Bukhsh : Contributions to the History of Islam Civilization. V. I. P. 171. (١)

حضارة العرب - جوستاف لوبون ص ٩٧ (٢)

Mohammad Ali : Mohammad the Prophet. P. 6. (٣)

سبأ ١٥ - (٤)

بمراقبة تلك الحضارة وأثرها فيما حولها من الأمم ، يقول سايس « لم يكن المسلمون الذين انطلقوا في الجزيرة العربية ، وفتحوا العالم المسيحي ، وأنسوا الممالك ، إلا من نسل أولئك الذين كان لهم قديما أثر عميق في مصير الشرق »^(١) وكذلك يدهش هومل لما كان للعرب الجنوب من قلاع وحصون ونقوش ، وأثر حضارتهم في العبرانيين واليونان^(٢) .

وحال العرب في جاهليتهم الأولى - وحتى قبل الاسلام - تنقض الصورة الخاطئة التي جعلت المجتمع الجاهلي معزولا متأخراً ، لا يرتبط بأسباب الحضارة والعمران ، ولم يتأثر بالأمم المجاورة .

لقد كان العرب الجاهليون على صلة وثيقة بحضارة العالم القديم ، فضلاً عن حضارتهم العريقة ، وقد كانت الصلات قائمة بين العرب وغيرهم من فرس وروم وهنود ، وكان من مظاهر ذلك إماراة المناذرة في العراق والفساسنة في الشام ، اللتان أتاحتا لثقافة الفرس والروم أن تدخل الجزيرة وتمتزج بثقافة العرب . وقد اتسح للعرب الكثير من الوسائل التي جعلتهم يفيدون من خبرات الأمم الاخرى وعلومهم ، فمن ذلك : الاسواق والمواسم التي كانت تقام في اتجاه مختلفة من الجزيرة ، كانت الاسواق ملتقى العرب على اختلاف منازلهم وثقافتهم يقصدها التجار - من العرب والمعجم - من تجار فارس ، والروم ، والهند ، والصين ، فيكون الاخذ والعطاء وتبادل المتاع ، ومن البدهي أن تلتقي الثقافات والعقول ، فيفيد بعض من بعض من الخبرة والصناعة والعلم ، وحتى العادات والتقاليد .

A. H. Sayce : Early Isreal. p. 128.

(١)

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢/٢٧٧ وما بعدها .

وقد ذكر محمد بن حبيب : ان كثيراً من تجار الامم المحيطة ببلاد العرب كانوا ينتقلون الى الجزيرة كما تفعل تجار فارس والروم حينما توافي بسوق المشقر ، يقطعون اليها البحر ببياعاتها^(١) .

وقال ابو علي المرزوقي : ثم يرتحلون منها (من صحار) الى دبا ، وكانت احدى فرض العرب يجتمع بها تجار الهند والسند والصين واهل المشرق والمغرب ، فيقوم سوقها آخريوم من رجب فيشترون بها بيوع العرب^(٢) .

والعرب انفسهم كانوا يسافرون الى بلاد الروم والفرس والاحباش ، منهم التجار الذين يحملون بضائعهم الى اقاصى البلاد ، ومن اولئك تجار قریش كهاسم وكان متجراً الى الشام وقد مات بغزة ، وعبد شمس ومتجراً الى الحبشة ، وعبد المطلب ومتجراً الى اليمن ونوفل ومتجراً الى العراق ، وهؤلاء هم اصحاب الايلاف من قریش^(٣) .

وكان من العرب من يتعرض لعطاء الملوک ، كالشعراء ، ورؤساء القبائل ، وذوي الفصاحة المتصلين بالملوك المنادين لهم ، وما ذكر النابغة وحنان في مجالس المناذرة والفساسة بنكر ، وقد عرفت منادمة الربيع بن زياد النخعي بن المنذر ، وقصة وفد بني عامر وبلا. لبید في مجلس النخعي^(٤) . وان صحت رواية وفود العرب على كرى وخطبهم في ذلك فرحلتهم تشمل مجموعات كبيرة من العرب ، غير مقتصرة على الاقراء . وكان من العرب من ساح في الارض طلباً

(١) المهر ص ٢٦٣ وما بعدها

(٢) الازمنة والامكنة ١٦٢/٢

(٣) المهر ١٦٢ والسيرة ٤٧/١

(٤) الاغانى ٩١/١

للهداية والعلم « مثل زيد بن عمرو بن نفيل » الذي شك في الاوثان
ورحل يطلب دين ابراهيم حتى بلغ الموصل وجال في الشام^(١)، والحارث
ابن كلدة الشقي الذي تعلم الطب وضرب العود بفارس واليمن^(٢)،
وغير هؤلاء كثير .

وكان من اسباب التمازج الحضاري في المجتمع الجاهلي ايضا ،
الجابيات الاجنبية التي كانت تقد الى الجزيرة فتسكن فيها زمانا^(٣)
وقد يتخذ بعضها الجزيرة موطنها ومقاما ، وطبيعي ان هؤلاء من
جنسيات واديان مختلفة ، وعقليات وثقافات متباينة ، فمنهم النصراني
واليهودي ، والمجوسي ، ومنهم الرومي ، والجنشي ، والفارسي
والهندي^(٤) . ومن هؤلاء من جاء مبشرا بدين كالنصارى الذين اقاموا
البيع والصوامع والاديرة في المدن والقرى ، ومنهم من جاء طالبا
الربح والتجارة ، او العمل والكسب ، او التجسس على العرب في
ديارهم^(٥) . ولا شك ان كثيرا من هؤلاء كان مكسبه عن طريق
نشر اللهو والمجون في الحانات ، حيث الخمر والغنا . والرقص .

ومن تلك الصلات ، وذلك التمازج البشري بين العرب والاقوام
الاخرى ، افاد العرب وكسبوا ثقافتين : الاولى ورثوها عن اسلافهم ،
والثانية اقتبسوها من الامم المجاورة .

(١) السيرة ٢٦/١ والاغانى ٢٦/٣ ط الدار

(٢) طبقات الامم - ساعد الاندلسي ص ٣٤ ط السعادة

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (مكة) وفي المجلد ص ٢٠٦ - ٢٠٨ ذكر لانياء

الحبيشيات . وفي اسد الغابة ذكر قروم والروميات انظر مثلا ٢٦٢/١ ، ٢٣٢/١ ، ١٩٤/٥

(٤) Oleary : Arabia before Mohammmad. p. 39. (٤)

وقد استطاع مؤلفو المسلمين ، على بعد الشقة « ان يحفظوا
للتأخرين جوانب من معارف الجاهلية وعلومهم ، كما حفظ الشعر
الكثير من تلك المعارف .

(٢)

لقد كان للعرب علم بالنجوم ومواقعها ومسالكها والوانها
ومطالعها وانوائها ، وعرفوا منها أوقات الحصب ، وأزمان المحل ،
ومهب الرياح ، وسقوط المطر ، واهتدوا بها في ظلمات الليل ، قال
الجاحظ : « وعرفوا الانواء ونجوم الاهتداء ، لان من كان بالصحاصح
الاماليس - حيث لا اماراة ولا هادي مع حاجته الى بعد الشقة -
مضطر الى التماس ما ينجيه ويؤديه ، ولحاجته الى الفيت ، وفراره من
الجدب ، وضنه بالحياة ، اضطرته الحاجة الى تعرف شأن الفيت ،
ولانه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كوكب ، ويرى
التعاقب بينها ، والنجوم الثوابت فيها . وما يسير منها مجتمعا ، وما
يسير منها فاردا » وما يكون منها راجعا ومستقيا «^(١) .

وكذلك يقول صاعد الاندلسي : « كان للعرب معرفة بأوقات مطالع
النجوم ومقاربها ، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها » على حسب
ما أدر كوه بفرط العناية وطول التجربة ، لاحتياجهم الى معرفة ذلك
في أسباب المعيشة «^(٢) . ويذكر ابن قتيبة : ان العرب أفادوا مما عند
الكلدانين (الصابئة عبدة الكواكب) ، وبين أسماء البروج

(١) الحيوان ٣٠/٦

(٢) طبقات الامم ص ٤٥ بيروت

والكواكب في العربية والكلدانية شبه كبير فبرج الثور هو (ثورا) في الكلدانية والجددي (كديا) والمريخ (مرايح) وهكذا، أما السرطان فنفسه في اللفتين^(١)، واشتهرت بعض القبائل بخيرتها الواسعة بمواقع النجوم وأنوائها مثل قبيلة مُرَّة، وبني حارثة بن كلب، وكثر ذكر الكواكب في الشعر، كالفرقد بن السماكين، وبنات نعلش، والشمرى، والجوزاء، والعيوق، وغيرها. وكان نظرم دقيقاً ثاقباً في المطر والرياح ومهابها، والسحاب وأشكاله ومواسمه، واللفة العربية غنية بأسماء السحب وأنواع الرياح وضروب القطر، وقد افرد ابن قتيبة لذلك كتاباً (الأنواء)^(٢) - نقلنا عنه قبل قليل - كما ألف أبو زيد كتاب (المطر)^(٣)، وعقد الثعالبي فصلاً في كتابه (فقه اللغة)^(٤) أسماء (الآثار العلوية)، تحدث فيه عن الرياح والسحب والأمطار والرعود والبروق وما إلى ذلك. وقلنا نخلص من هذه الموضوعات كتاب من كتب اللغة.

وكان للعرب الملم بالطب والبيطرة، وهي جملة معارف وخبرات توارثها الناس خلفاً عن سلف، ومن الطبيعي ألا يكون طبهم قائماً على العلم المنظم الدقيق، بل هي معارف وملاحظات قد يصاحبها الخطأ في كثير من الأحيان، وقد تدخل الخرافة والرقى في بعض ما لا يعرفون يقول ابن خلدون في ذلك :

(١) مخطبات الأنواء في مواسم العرب في صفحات متعددة ط شارل بيلا

١٩٠٦/١٣٧٥

(٢) المصدر السابق

(٣) طبم الكتاب لويس شيخو سنة ١٩٠٨ ضمن اللفة في شذور اللفة

(٤) فقه اللغة وسر العربية من ٤٠٣

« وللبادية من أهل العمران طب ينونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحلي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، إلا أنه ليس على قانون طبيعى ، ولا على موافقة المزاج »^(١) . ومن تلك الحرافات التي أشرنا إليها ظنهم أن دم السادة يشفى من الكلب ، وأن عظام الميت تشفى من الجنون ، وقد استخدموا في طبهم الكي بالنار حتى قالوا (آخر الدواء الكي) والتداوي بشراب العسل ، وعصارات بعض النباتات البرية ، وغير ذلك . وقد عرف منهم بعض الأطباء الحاذقين ، كالحارث بن كلدة الشقي^(٢) (توفي ١١٣ هـ) الذي تعلم الطب في بلاد فارس ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من يمرض من أصحابه أن يأثبه ويستوصفه^(٣) ، وكذلك ابن حذيم النيمي الذي ضرب المثل في خبرته ومهارته بالطب ، فقالوا « أطب من ابن حذيم »^(٤) .

وكان لعناية العرب بالخيول والأبل أن برعوا في البيطرة ، فعرفوا عيوب الحيوان وعماهاته وأدوائه ، وقد هدتهم الحاجة ، ودقة الملاحظة أن عرفوا كل الأمراض والأعراض التي نصيب الحيوان ، فائتمسوا لكل داء دواء . وقد تحدث الجاحظ عن معرفة العرب بالبيطرة فقال :
« كثيراً ما يتلون بالناب والمخلب ، وباللبدغ والسع والعض والأكل ، فخرجت بهم الحاجة إلى تعرف حال الجاني والجوارح والقائل ، وحال المجنى عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطلب والهرب ، وكيف

(١) المقدمة ص ٢٩٤ ط مصر .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) طبقات الامم ص ٧٤ والأخبار الطوال - الدينوري ص ١٢٢ ط جونتجن .

(٤) بحم الأمثال ٥٢/٢ ط بلاق .

الدا، والدوا، « لطول الحاجة ولطول وقوع البصر، مع ما يتوارثون من المعرفة بالدا، والدوا، »^(١).

وكان للعرب خبرة واسعة بالخيـل وبصر دقيق بشياتها وأوصافها، وما يستحب منها وما يذم فيها، وقد عتوا بسلاياتها وعرفوا أنسابها، وفرقوا بين العتيق منها والمجن، وعرف في ذلك سلمان بن ربيعة الباهلي المعروف بسلمان الخيل، وكان سلمان يميز العتيق من الخيل من هجينها بطول العنق، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شك في العتاق والمجن من الخيل « فدعا سلمان بطست من ماء، فوضعت بالارض، ثم قدم الخيل فرساً فرساً، فأنثى منها سنبكة فشرب جملة هجيناً، وما شرب ولم يثن سنبكة جملة عتيقاً وذلك لأن في أعناق المجن قصرأ فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تثني سنبكها، وأعناق العتاق طوال »^(٢). وكان الناس يمجون بسلمان الباهلي ومن المعجبين به ليبد الشاعر، فقد ذكره في إحدى أراجيزه، مبينا فضل الله عليه بنعمة البصر بالخيـل^(٣).

ومن معارف العرب التي هذاكم اليها الذكاء، وخصب القريحة، وصفاء الذهن : الفراسة والقيافة، فالفراسة : الاستدلال بمظهر الإنسان وشكله وسلامة أعضائه، على أخلاقه وصفاته وطباعه. والقيافة : تتبع الأثر في الأرض لمعرفة آثار الإنسان أو الحيوان، ولهم في ذلك حدق وبراعة، فكانوا يعرفون أثر من ضل منهم أو من

(١) الحيوان ٢٩/٦ .

(٢) ديوان ليـد ص ٣٣٧ ط السكـويت .

(٣) ديوان ليـد القصيدة ٥٨ .

حيوانهم ، أو طريق عدوم حين يهرب منهم دالجا في الليل أو سائرا في النهار .

ومن معارفهم - التي يداخلها البطن والمصادفة - العيافة والزجر والطرق بالعصى ، وهي ضرب من التنبؤ - كالكهانة - بمعرفة حركات الطيور والتمسك بها أو التطير منها ، وقد اشتهر منهم بنو أسد وبنو لخب حتى قال قائلهم :^(١)

خير بنو لخب فلاتك ملغيا مقالة لحي إذا الطير مرت
وقد أوضح الجاحظ جانباً من ذلك فقال : « وأصل التطير من الطير إذا مر بارحاً وسانحاً ، أو رآه يتفلى وينتف ، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم ، أو الأعضب أو الابتر زجروا عند ذلك وتطيروا »^(٢) . وما كان كل العرب على هذه الشاكلة في زجر الطير وضرب العصي ، بل كان منهم من ينكر ذلك ويتعقل مثل ليبد الذي يقول :^(٣)

لممرك ما تدري الضوارب بالعصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وكانت عنايتهم بالأنساب ومعرفة الأصول والأحساب ، قد فاقت كل معرفة ، حيث دعتهم العصبية إلى أن يحفظوا بدقة كل ما يتعلق بأنسابهم وأيامهم وأخبارهم ، وقد رويت عن كثرة حفظهم وسعة معرفتهم أقاصيص تدعو إلى العجب ، فهم يصلون أنسابهم بالأب

(١) شرح ابن عثيل ١٥٤/٢

(٢) الحيوان ٤٣٨/٣ وما بعدها . والبارح : اليامن والسانح : اليسار .

(٣) ديوان ليبد ص ١٧٢

الأكبر عدنان أو قطان ، ويقسمون مراتب النسب الى : فصائل ، وأنفاذ ، وبطون ، وعماير ، وقبائل ، وشعب . وقد عرف من مشهورى نسبهم : دغفل بن حنظلة الشيباني ، وزيد بن الكيس النمري وابن اسان الحمرة ، وغيرهم ، كما عرف أبو بكر الصديق بسعة علمه بالانساب والايام^(١) .

وكما حرصوا على معرفة انسابهم واصولهم ، الموا بأخبار ايامهم وتاريخ اسلافهم ، وما وقع لهم ولغيرهم من الامم القديمة ، وقد ظهرت تلك المعارف والأخبار في الشعر ، كقصص الفيل وحرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، ويوم ذي قاد ، وحروب الفجار ، وعرفوا سير الملوك في اليمن ، والحيرة ، والشام ، كما عرفوا أخبار الفرس وحروبهم وملوكهم ، وذلك بسبب اختلاطهم بتلك الامم عن طريق الاسواق والتجارة والرحلات . فقد عرف عن النضر بن الحارث انه كان يذهب الى الحيرة يتعلم من أهلها أخبار الفرس واساطيرهم ، وسير ملوكهم وقوادم ، مثل رستم واسفنديار وكسرى ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً في مكة - فدعا فيه الى الله تعالى . وتلا فيه القرآن ، وحذر قريشاً مما أصاب الامم الخالية ، خلفه النضر في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم واسفنديار وملوك فارس ، ثم يقول : « والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما اكتبتها »^(٢)

على أن معرفة العرب بالأخبار والأحداث التاريخية لم تكن

(١) السيرة النبوية ١/١٦٥ طبعه الجيد ١٣٨٣/١٩٦٣ والبيان ١/٧١

طبعة التأليف والترجمة والنشر وانظر الاغنى ١/١٣٨ والاحتشام ١/٢٢١ .

(٢) السيرة ١/٣٥٨ طبعه سلي ووقفه .

معرفة دقيقة ، بل هي عرضة للتزيد والتحريف ، فان تلك الاخبار كانت متداولة بين الناس بالرواية الشفهية والرواية تقبل الخطأ والتحريف .

وللعرب بعد ذلك حكم بالغة تمثل خبرتهم في الحياة وتجاربهم فيها ، وقد صاغوها بعبارات قصيرة مأنوسة ، كان الناس - وما زالوا - يتحثلون بها ، لأنها تفصح بصدق عن مكونات النفس البشرية بعمامة . وقد حفظت كتب الامثال طائفة جليلة منها ، ولعل خير ما ألف من كتب الامثال : كتاب العسكري (جهرة الامثال) والميداني (مجمع الامثال) والزنجشري (المستقصى في الامثال) . هذا غير ما جاء عند الشعراء من حكم شاعت وصارت مما يستشهد بها الناس في كل زمان ، كحكم زهير ولييد وطرفة وعبيد بن الأبرص والأفوه الاودي وغيرهم . وقد ذكر الجاحظ جمهوراً من حكماء العرب وذوي الدهاء واللسن ، فقال : « ومن القدماء من يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراة : نعمان بن عاذ ولقيم بن لقمان ، ومجاشع بن درام ... ولؤي بن غالب وقس بن ساعدة وقصي بن كلاب ومن الخطباء البلقاء والحكام الرؤساء : أكرم ابن صيفي ، وربيع بن حذار ، وهرم بن قعبلة وعامر بن الظرب ، ولييد بن ربيعة »^(١) وكانوا يكتبون تلك الحكم ويحفظونها كما فعل سويد بن الصامت الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده صحيفة فيها حكم لقمان ، وقال الرسول عليه السلام عما فيها : « ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه » قرآن أنزله الله تعالى علي

(١) البيان والنبين ٣٦٥/١ ط عبد السلام مارون .

وهو هدى ونور»^(١).

وعلى كل حال ، لم تكن حكم العرب وأمثالهم نتيجة تفكير فلسفي بعيد ، وإنما هي نظرات وخبرات ، صادرة عن طبيعة حياتهم ، ومثلهم ، ونظرتهم الى الحياة والموت ، ومصير الناس ، والخير والشر ومعاقبة الدهر ، وهي مع كل ذلك ، تصوير صادق أمين لفطرتهم السليمة ، ونفسياتهم الواضحة البسيطة التي لا يشوبها ولا يعيبها تعقيد أو غموض .

(١) سيرة ابن هشام : ٢/٢٩٠ ط عبد الحميد .

الفصل الخامس

الحياة الدينية

(١)

لقد عرف العهد الجاهلي بالعهد الوثني عهد الشرك وعبادة اصنام من دون الله . غير ان النظرة الفاحصة المحصنة ، تكشف ان وثنية ذلك العهد ، لم تكن - كما قد يظن - اعتقادا متينا بالاصنام ، فقد كان كثير منهم ، وبخاصة الاعراب ، يسخرون منها ويهزأون بها^(١) . ولم يكونوا يؤمنون بان هذه الاوثان والاصنام^(٢) خالقة مدبرة قادرة ، ولم يكن الشرك اشرا كافي وحدانية الله ، فلذل انل آشهر - ويكفى ان يكون القرآن قد نص على ذلك - الى ان عرب الجاهلية كانوا يؤمنون بالله الواحد القوي الخالق الذي بيده الامر ، وكان اتخاذهم الاصنام على انها وسائط وشفاعات تقربهم الى الله سبحانه ، فالشرك هنا يلحظ من تقديس اصنام تنسب لها القدرة على الشفاعة لا الشرك في وحدانية الله . قال صاعد الاندلسي : « وجميع عبدة الاوثان من العرب موحدة الله تعالى . وانما كانت عبادتهم ضربا من التدين بدين

(١) الاصنام - ابن الكلبي ص ٣٧

(٢) يفرق بين الصنم والوثن في ان الاول يكون على هيئة تمثال . والوثن يكون حجرا وقد يسمى الصنم بالوثن ايضا انظر الاصنام ص ٣٣ و ٥٣ في تحديده كل منهما

الصابئة في تعظيم الكواكب والاصنام الممثلة بها في الهياكل ، لا على ما يعتقده الجهال بديانات الامم واداء الفرق ، من ان عبدة الاوثان ترى ان الاوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأي صاحب فكرة ولا واديه صاحب العقل ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى »^(١) وقال تعالى في صفة الجاهليين الذين يتقربون اليه باصنامهم : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »^(٢) وقد جاءت الآيات الكريمة لتدل على ايمانهم بالله الخالق القادر الواحد الذي بيده امر كل شيء . . قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله »^(٣) ، « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون »^(٤) « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون »^(٥) .

وقد عرّف أوس بن حجر في بيت عن اعتقاده بالله الذي هو اكبر من كل المعبودات ، مع اقراره باحترام اللات والعزى ، قال :^(٦)
وباللات والعزى ومن دان دينها

وبالله ان الله منهمن اكبر

-
- (١) طهات الامم - جاعد بن احمد الاندلسي ص ٢٤ و- سورة الزمر ٢
(٢) سورة يونس ١٨
(٣) لقمان ٢٥
(٤) الزخرف ٨٧
(٥) يونس ٣١
(٦) الاصنام ص ٧ وانظر عن التوحيد في الشعر الجاهلي (الحياة العربية)
للكشور الحوفي ص ٤٠٢ - ٤١٧

وهذا النابغة الذبياني يقسم بالله الذي ليس وراءه شيء ولا أكبر منه :^(١١)

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
ونجد في الشعر الجاهلي الدلائل الكثيرة الواضحة الصريحة التي
تؤكد إيمان الجاهليين بالله وتوحيده والقسم به ، وأنه خالق الخلق
وواهب النعم . يقول عبيد بن الأبرص :^(١٢)

حلفت بالله أن الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح
وقد آمنوا بأن الله هو الحافظ الذي يلوذ الناس برحمته ، قال
أفنون التغلبي :^(١٣)

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي
إذا هو لم يحمل له الله واقيا
وان الله يجزي على العمل الصالح ، قال أبو قيس بن الأسلت :^(١٤)
أجرت محمدا ودفعت عنه وعند الله صالح ما أتيت
ويقول زهير بأن الله عالم الغيب ، ومطلع على الضمائر وأسرار
النفوس :^(١٥)

فن مبلغ الأحلاف عني رسالة
وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

-
- (١١) ديوان النابغة من ٥٦ ط السادة . النقد الثمين ص ٥
(١٢) ديوان عبيد من ٢٤ ط ليال نقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن الرواة
المسلمين وضوا لفظة الجلالة في شعر الجاهليين مكان كلمة (اللات) . وهذا فرض بعيد
فيه كثير من التسلف ينظر تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ٣٠٥/٦
(١٣) المفضليات ٥٢٣ ط ليال
(١٤) الاغانى ١٤/٣ ط الدار
(١٥) ديوان زهير من ١٨ ط الدار

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
 ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
 ويقم آخر بالله عالم الاسرار ومحبي العظام البيض وهي رميم: ^(١)
 اما والذي لا يعلم السر غيره
 ويحيى العظام البيض وهي رميم
 لقد كنت اختار القرى طاوى الحشا
 محافظة من ان يقال لشم
 وفي بيت حاتم السابق ايمان بالبعث والحساب فانه يحيى الخلق
 بعد موتهم وان كانوا عظاما، وقد اوضح لبيد بان للناس يوما يقفون
 فيه بين يدي الله، وتكشف اعمالهم، وتجزى كل نفس ما كسبت: ^(٢)
 وكل امرئ، يوما سيعلم سعيه
 اذا كشفت عند الاله المحاصل
 وكذلك يذكر علاف بن شهاب التيمي فكرة الحساب
 والشواب والعقاب يقول: ^(٣)
 ولقد شهدت الخصم يوم رفاة
 فاخذت منه خطبة القتال
 وعلمت ان الله جازر عبده
 يوم الحساب باحسن الاعمال
 واذا كان هذا ايمان العرب بالله ووحدايته وقدرته فكيف

(١) شرح الحاشية للرزوقي ١٧١٥/٤

(٢) ديوان لبيد ص ٢٥٧

(٣) بلوغ الارب ٢/٢٧٧ ط ١٩٢٤ - ١٣١٣

كانوا يوفقون بين هذا الايمان وبين تقديس اوثان واصنام ، واشراكها في العبادة والتقديس مع الله سبحانه ؟ ان العرب في ذلك تعليقات لا يتخلو بعضها من منطق مقبول ، فهم يقولون : « ليس لنا اهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة ، لعظمته فعبدناها (اي الاصنام) لتقربنا اليه تعالى »^(١) ومنهم من يقول : « جعلنا الاصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى ، كما ان الكعبة قبلة في عبادته »^(٢).

واذا ما عرفنا كيف بدأ تقديس الاصنام وعبادتها نستطيع ان نبين الاسباب التي جعلت غيار الناس يتشبثون بها ويتعدون عن دين التوحيد الاول دين الفطرة - دين ابيهم ابراهيم^(٣) . وكذلك نستطيع ان نعرف طبيعة تلك العقلية المحافظة المكابرة ، التي وقفت بعنف وشدة بوجه الدين الاسلامي في بيئته الاولى . قال هشام بن محمد الكلبي : « وكان الذي سلب بهم الى عبادة الاوثان والحجارة ، انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظما للحرم وصباية بمكة ، فحيثما حلوا وضموه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصباية بالحرم ، وحباله ، وم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويمتدرون على اثر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام »^(٤) وبترو الزمان نسي الناس العلة في تقديس

(١) بلوغ الارب ١٩٧/٢ ص ٢

(٢) المصدر السابق ١٩٧/٢

(٣) ينظر هنا تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢٠٠/٥ حيث يذكر رأي وثاق في آل العرب موحدون بطبيعتهم مثل سائر الساميين .

(٤) الاصنام ص ٦ وهناك آراء اخرى منها قصة عمرو بن لحي ، والذي اُبتُناه هنا ، اقرب الى طبيعة العرب .

العجارة، على أنها أثر من آثار الكعبة وذكري لها، فانتقل التقديس للحجر نفسه، وتطور الحجر الى صنم، ثم بدأت الظنون بعد ذلك في خير هذا الصنم وشره، وكلما امتد العهد واستطال الزمان، احيطت هذه العبادة بهالة من الغموض المقدس. والناس - منذ كان الناس - تحن الى الموروث الذي تلفه الاسطورة ويكتشفه الغموض، وقد استحسنت العادة في نفوسهم، فصاروا يتمسكون بها ويتزولونها منهم مكانة فضلى.

والملاحظ أن أم بيئة رسيخ فيها الدين، وتمسك أهلها بالاصنام هي مكة، قلعة الدين وجمع أصنام العرب، بينما نجد أن المناطق الأخرى أقل حاسة لعبادة الاوثان، وبخاصة البادية التي تنظر الى هذه العبادة نظرة غير جادة، فكثيراً ما يشور الأعرابي على صنمه حينما تتضارب أهواء العابد والمبود، من ذلك ما يروى عن رجل من العرب - وتروى لامرئ القيس ايضاً - قُتل أبوه فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالازلام، فخرج السهم ينهيه عن ذلك فقال: ^(١)

لو كنت باذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً
لم تنه عن قتل العداة زوراً

واتى رجل من بني ملكان الى سعد - صخرة طويلة بأرضهم - بأبل معه يلتمس البرصكة، فلما رأت الأبل ما على الصخرة من الدم

(١) الاصنام من ٢٥ والبرص ٩١/١ وانظر حوله صف الوتية في أواخر العصر الجاهلي الحياة العربية ٢٧٧ وما بعدها وينظر هنا رأي نيكسون حول عدم مبالاة العربي بالدين.

Aliterary Hist. of the Arabs. p. 185.

المهراق ، نفرت وتفرقت في كل وجه ، فأخذ حجراً ومى به سعداً
ثم أنشد :^(١)

أتيتنا الى سعد ليجمع شملنا

فشتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة

من الارض لا يدعى لغياً ولا رشداً

وقد جرت العادة ان يتبع الناس هذا الدين ، دون ان يحجروا على
الشك يحدوى هذه العبادة .

(٢)

هذا شأن الكثرة من عرب الجاهلية ، وقد عرفت في ذلك العهد
فئة من المستبصرين الذين كانوا يترفعون عن عبادة تلك النصب
والتأثيل وكانوا يتطلعون الى دين التوحيد ، دين ابراهيم ، على أنه
الدين المبرأ من الشرك ، وقد عرفت تلك الفئة بـ (الأحناف) ودينهم
بـ (الحنيفية)^(٢) . وكانوا قد اعتزلوا الاوثان ، وعافوا الميتة والدم
والذبايح التي تذبح على النصب لغير الله ، وقال في ذلك قائل منهم :
« أنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل الا ما ذكر
اسم الله عليه »^(٣) ، كما سخطوا على الخمر وعافوا شربها ، وقد عاف

(١) الاصنام ص ٣٧ والسيرة ٨٥/١ .

(٢) انظر في الحنيفة وأثرها في شعراء الجاهلية فون كريم (حول اشعار لبيد)

Von Kremer: Ueber die Gedichte des Labyd. p. 8.

(٣) السيرة النبوية ٢٣٧/١

(٤) هو زيد بن عمرو بن نفيل . صحيح البخاري ٥٠/٥

الخمر ايضاً غير هؤلاء من عقلاء العرب ترفعاً عما يؤول أمر شاربها إلى المهانة والسفه^(١). وقد عرف من الاحناف رهط كبير منهم : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وصرمة بن أبي أنس ، وامية بن أبي الصلت ، وخالد بن سنان العبسي ، وورقة بن نوفل ، وغيرهم^(٢).

ولم تكن الحنيفة امتداداً أو تقليدياً لليهودية أو النصرانية ، بل لم يكن بين الديانتين والحنيفية صلة أو شيجة ، وإن اطلع بعض رجال الحنيفية على دين اليهود أو النصارى ، على النقيض مما يبالغ بعض الكتاب وبخاصة رجال الدين النصارى^(٣) ، وإنما هم على دين العرب القديم دين ابراهيم ، وما كان ابراهيم من اليهود أو النصارى كما نص على ذلك كتاب الله العزيز : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً »^(٤) ، وكذلك لم يكن من المشركين : « إن ابراهيم كان أمةً فاتتاه الله حنيفاً ولم يك من المشركين »^(٥) ، والحنيف هو المسلم (حنيفاً مسلماً) قال تعالى : « ثم اوحينا إليك

(١) مر بنا ذكر من طاف الحرة من الجاهليين في الحياة الاجتماعية .

(٢) المعارف - ابن خنبة ص ٢٧-٢٩ ط الاسامية وانظر حول الاحناف والكارم جواد هلي - تاريخ العرب ٥/٥٦-٦٠ و ٦٩/٢٨٩-٢٩٥ .

(٣) لويس شيخو في شعراء النصرانية ، وقد حاول باطلا ان يقيم اكثر الشعراء الجاهليين من ذكروا الله في النصرانية . وينظر في هذا الموضوع رأي بلاشير في الاحناف وعلاقتهم بالسيحية والمناوية تاريخ الادب العربي ١/٦٨ ترجمة ابراهيم كيلاني . وينظر كذلك رأي نيكسون في الاحناف وعلاقتهم بالسيحية .

Ali, Hist. of the Arabs. p. 149.

(٤) آل عمران ٦٧

(٥) النحل ١٢٠

ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً^(١)، وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»^(٢)، وكذلك قوله عليه السلام: «أَحَبُّ الْأَدْيَانِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»^(٣)، وجاء ذكر الحنيفية في الشعر بنفس دلالة المسلم قال عبد الله بن أنيس: ^(٤)
وقلت له خذها بضربة ماجدٍ حنيفٍ على دين النبي محمد
وكذلك في أبيات لأمامة المزيرية تقول: ^(٥)

تكذب دين الله والمرء احدا

لعمر الذي امتاك ان بشى مايعنى

حباك حنيف آخر الليل طعنة

ابا عفك خذها على كبر السن

وهكذا يتضح من هذه النصوص ان الاسلام والحنيفية على شريعة واحدة شرعة التوحيد والايان بالله الواحد الاحد، وما الوثنية الا تشويه لدين ابراهيم وتحريف له وخروج عليه .

لقد كانت الوثنية امم الاديان التي عرفتھا الجزيرة واكثرھا شيوعا وانتشارا ، وقد شهدت الجزيرة اديانا اخرى غير الوثنية كاليهودية والنصرانية ، ولم يكن لاتباع هاتين الديانتين كبير اثر في الجاهليين ، اذ لم تستطع اية منهما ان تدحر الوثنية ، او ان توسع نفوذھا .

(١) النحل ١٢٣

(٢) طبقات ابن سعد ١٢٨/١ وكذلك ٢٨٧/٢

(٣) المن ١٠/٤٠٤ وانظر ابن سعد ٢٨٧/٣

(٤) السيرة ٥٨/٢ ودائرة المعارف الاسلامية (حنيف) .

(٥) السيرة ٩٨٢ ودائرة المعارف الاسلامية (حنيف) .

فأما اليهودية: فقد جاء اليهود الى الجزيرة بعد أن طردهم واضطهدهم قياصرة الروم فالتجأ كثير منهم الى الحجاز واليمن^(١). وقد استطاع اليهود في اليمن منذ عصر متقدم ان يهودوا احد ملوك التباغة وهو ذو نواس، ويحرضوه على التنكيل بنصاري نجران وتحريقهم بالاخدود، والى ذلك تشير الآية الكريمة: « قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قמוד وهم على ما يقفلون بالمؤمنين شهود وما نعموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد »^(٢). على انه سرعان ما استطاع الاحباش النصاري القضاء على ذي نواس سنة ٥٢٥ وحينذاك كبرت شوكة اليهود في اليمن، ولم يبق لهم شأن يذكر هناك. وقد عرف من يهود اليمن كعب الاحبار ووهب بن منبه وكلاهما اسلم وكان لهما يد طويلة في الاسرائيليات التي شاعت بين المسلمين.

وفي الحجاز نزلت قبائل كثيرة من اليهود. اهمها بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وبنو بعل، واستوطنوا في يثرب وخيبر ووادي القرى وتيما، وقد نزل الاوس والخزرج يحوارهم ثم استطاعوا الاستيلاء على يثرب، وكان هم اليهود وجهدهم بعد ذلك ان يوقعوا بين القبيلتين العربيتين، ويشيروا الضفائن وينبشوا الاحقاد، فوقعت

(١) لم يقطع المؤرخون بزمان دخول اليهود الجزيرة ولا الظروف الواضحة في ذلك، ينظر تاويخ العرب قبل الاسلام ٢٤/٦ حول يهود اليمن و ٩/٦ - ١١ حول يهود الحجاز وانظر الحياة العربية حول اليهودية ١٣٦ - ١٤٢ وحول النصراية من ١٤٢ - ١٥٠ وقد استبعد الدكتور الحوفي ان يكون ذونواس صاحب الاخدود ١٥٤ - ١٥١

(٢) سورة البروج ٤ - ٨

بهم حروب وإيام ودماء حتى جاءهم الإسلام برحمته فأنجاهم من كيد
يهود . وحين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكتاب في المدينة
لينظم أمور المسلمين ، ويحدد علاقتهم بغيرهم ، وأدع اليهود وأمنهم ،
فقال عليه السلام : « وانه من تبعنا من يهود فإن له النصره
والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم »^(١) ، وقد أقرم على دينهم
وأكرمهم ، وجعلهم والمسلمين في مقام واحد ، متناصرين^(٢) . إلا أن
اليهود أبوا إلا القدر والخيانة ونقض العهد ، فناصروا المشركين على
المسلمين ، وكادوا للمسلمين كل كيد ، وقد كان القرآن الكريم لهم
بالمرصاد ، يفضح كيدهم ويكشف باطلهم ، حتى قامت الحرب بين
المسلمين واليهود ، فكان النصر لدين الله والمزيمة لأعدائه المنافقين .
ولم يستطع اليهود أن يتركوا آثارا واضحة في عرب الجزيرة^(٣) ،
بل كان تأثير العرب فيهم واضحا متميزا ، فقد تعرب فريق منهم ،
كيهود يثرب وخيبر ووادي القرى وفدك وقياء ، واصطنعوا اللغة
العربية لغة الحديث ، وظهر فيهم بعض الشعراء الذين نظموا في العربية
كالسموأل بن عاديات ، في الجاهلية ، وكعب بن الأشرف وجبل بن جوال
وسماك اليهودي في الإسلام^(٤) .

هذا مجمل ما لليهودية في الجزيرة ، أما النصرانية فقد انتشرت عن

(١) السيرة النبوية ١/٥٠٣

(٢) المصدر السابق والصفحة

(٣) على خلاف ما يحاول ان يشبهه بعض المنصفين من تأثير اليهود في العرب
وفي الدين الاسلامي . انظر تفصيل ذلك في تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي
١٩٦/٩٤-١٩٧/٩٦ وكذلك ١٧٧/٩٦ والحياة العربية من ١٤٠ وما بعدها وانظر كذلك
المرآة في الشعر الجاهلي من ١٤٠-١٤١ .

(٤) السيرة ٣/١٩٧ وما بعدها .

طريق الروم والحبشة ونصارى الحيرة ، وقد اعتنقت بعض القبائل العربية النصرانية ، مثل عاملة وجذام وكلب وقضاة من الغساسنة في الشام ، وفي العراق تغلب وأياد وبكر ، والعباد في الحيرة . وكان نصارى الشام يعاقبة أو (منو فيستين) وم القائلون بأن للمسيح طبيعة واحدة ، وينسب هذا المذهب الى يعقوب البرادعي المولود حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد . أما نصارى العراق فقد كانوا نساطرة^(١) نسبة الى نسطوربوس المتوفى سنة ٤٥٠ للميلاد ، وهو يرى أن للمسيح طبيعتين أو اقنومين : اقنوم الناسوت واقنوم اللاهوت^(٢) . اما في اليمن فكان في نجران نصارى على مذهب اليعاقبة - كالحبشة والغساسنة -^(٣) . اما في مكة فكان هناك رقبتي جبشي من النصارى^(٤) ، ويذكر اوليري^(٥) ان في مكة جالية من نصارى الروم .

وابرز شاعر عرف للنصارى في الجاهلية : عدي بن زيد العبادي ، الذي سقطت في شعره اسماؤه ومصطلحات نصرانية ، وان ظهرت هذه الاسماء والمصطلحات عند شعراء جاهليين من غير النصارى . ومهما يكن من شيء ، فان النصرانية - على الرغم من انتشارها - لم تكن لتترك آثاراً واضحة في حياة العرب^(٦) الجاهليين او دينهم ، لأن

(١) اسباب النزول - الواحدى ص ٢١٨

(٢) حول المذاهب النصرانية ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٦/٦٨ وما بعدها .

(٣) اسباب النزول ص ٢١٨ ط مصر بتأية احمد صفر

(٤) المصدر السابق ص ٢١٢

(٥) O'leary: Arabia before Mohammad. p. 184.

(٦) انظر المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٢-٢١ حيث يبين سبب ضعف النصرانية وقلّة تأثيرها في العرب .

النصارى انفسهم لم يكونوا قد تعمقوا دينهم وتمسكوا به بدقة و اخلاص ، فقد كان دينهم مشوبا بالوثنية ، ذلك ان تعاليم النصرانية كفكرة التثليث وحياة المسيح وغيرها لم تظهر في الشعر الجاهلي . وكل ما هناك اسما ، خاصة بدينهم كالصليب والناقوس والبيمة وغيرها ، وان ذكر هذه الامور لا يدل على ايمان متمكن عميق ، بقدر ما يدل على وصف امور مشاهدة ، وهذا عدي بن زيد الشاعر النصراني لا يرى حرجا في ان يقسم برب الكعبة الوثنية ، كما يقسم برب الصليب ، يقول :^(١)

سمى الاعداء لا يألون شرا علي "رب" محكة والصليب

وقد عرفت الجزيرة العربية مع هذه الاديان - الوثنية واليهودية والنصرانية - عبادات اخرى كثيرة ، منها : المجوسية التي دخلت عن طريق الحيرة الى العراق ، فانتشرت في بعض القبائل كقبيلة نيم . والمجوس ثنوية يؤمنون بالهين يديران العالم هما : اله الخير واله الشر . او النور والظلمة^(٢) .

وظهرت عبادة الكواكب عند بعض القبائل - وهي لا شك من اثر الصابئة وبقايا الكلدانيين - فيقال ان كنانة عبدت القمر ، وان فريقا من قريش وخزاعة ولحم عبدت نجم الشعري^(٣) ، وقد جاء في قوله تعالى : «وانه هو رب الشعري»^(٤) تبكيته لهم لما كانوا ينسبون

(١) الاغانى ١٠١/٢ ط الدار

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٨٤/٦ وما بعدها .

(٣) سروج الذهب - المسعودي ١٢٠/٣

(٤) سورة النجم ٤٩

الى هذا النجم من القدرة. ويقول اوليري: ^(١) ان العزى تشل كوكب الزهرة والساتات رمز الشمس ، وقد عبدت الشمس ^(٢) في اليمن ، فقد كانت ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وقد حكى القرآن ذلك على لسان المدهد حين اخبر سليمان عليه السلام : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » ^(٣) وقد عرف من اسمائهم عبدشمس وعبدالعزى . كما عرفت جماعة منهم باصحاب الدهر ، وقد حكى القرآن الكريم عقيدتهم بقوله : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » ^(٤) . وهؤلاء ينكرون الخالق والبعث والجزاء ، ويرون ان العالم لا يتحرب ولا يبيد والا كان مخاوقا مبتدعا ، قال شداد بن الاسود بن عبدشمس ، يرثي كفار قريش يوم بدر ^(٥) .

يغيرنا الرسول لسوف نحيا وصكيف لقاء اصداء وهام
الى غير ذلك من الديانات والمبادات ^(٦) .

هذه الديانات المختلفة ، من موحدة او مشوبة بالشرك ، متمسكة بدينها او معتادة عليه ، مقدسة للوثنية ، او ساخطة عليها ، وتلك

(١) O'leary: Arabia before Mohamunad, p. 194.

(٢) انظر في عبادة الكواكب والقبائل التي عبدتها الحياة البرية ٤٢٠ - ٤٢١

(٣) سورة النمل ٢٤

(٤) المجاثية ٢٤

(٥) السيرة ٢٩/٢

(٦) انظر عبادات اخرى عرفت في الجزيرة في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

القسم الديني .

الحياة المضطربة المختلفة ، وكل ذلك كان يدل على ان الفترة فترة قلق وارهاس وتطبع لشيء جديد تتوقعه النفوس ، وتهفو اليه الافئدة دون ان تعي تلك النفوس والافئدة ، كيف ومتى يحدث او يكون^(١) . وقد كان لذلك الارهاس اسبابه وعوامله التي ساعدت على دنو زمانه وتمجبل حبه ، من ذلك ان الفترة التي سبقت الاسلام تميزت بامور ، منها : وعي سياسي وميل الى التكتل ، كما حدث في قبائل مملكة كندة ، والتحالفات الكثيرة التي عقدت بين القبائل الاخرى . وكان للاسواق الاثر الفعال في توكيد الشعور المشترك والمشاركة العاطفية وتبادل الافكار وتصفية كثير من المشاكل والاحقاد . وهناك الخطر الخارجي الذي يتمثل في اطماع الفرس والبيزنطيين والاحباش ان يسيطروا على الجزيرة ، فاستيقظ الشعور المشترك بالمصير الواحد ، وكان انتصار قبائل عربية على الفرس في موقعة ذي قار - على الرغم من ان بعض القبائل كانت مع الفرس - عاملا آخر في يقظة العرب وشدهم نحو الاتحاد .

وبلاحظ كذلك الحاجة الى اقامة العدل والامن واجتماع الكلمة ، وبخاصة في مكة حيث اقيم (حلف الفضول) للانتصاف من الظالمين ، وانتصاف المظلومين ، وهذا يعني ، الرغبة في اقامة عدالة اجتماعية تردع الطائشين والمتهورين ، ثم ارتباك الاحوال الاجتماعية التي عرفت

(١) من ذلك كان نظام الاحناف ، فقد روت الاخبار ان زيد بن عمرو بن نبل من يامية بن ابي الصلت فقال له : (يا بلغي الخير هل وجدت) قال لا ، ولم اوت من طلب . قال : ابي علماء اهل الكتاب الا انه منا او منك او من اهل فلسطين) ، طبقات الثمراء ص ٢٢٠ والاغانى ١/٢٢٢ ط النجاشي .

بعكة خاصة ، من تفشى الاستغلال والسرقة والنش واكل اموال .
اليتامى والقسوة على الضعفاء والمبيد .

لهذا كله ولما يتصل به اثر في ان يتطلع الناس الى حركة نهـز
هذا المجتمع وتقضي على ما فيه من شرور ونظم فاسدة وعقائد
مضطربة^(١) ، فجاء الاسلام في تلك الفترة انجع علاج واسمى نظام وأكرم
عقيدة واعظم تشريع ، فلم يلبث العرب ان عارضه بعضهم وهش له
بعضهم . ثم لم يلبثوا جميعا ان أقبلوا على اعتناقه والامتزاج به وتقديته .
بأعز ما يمكن .



(١) ليس معنى هذا ان الاسلام كان امتداداً لفكرة بين الناس عمل النبي على
اظمـارها وتوكيدها كما قد يزعم من ينكر فضل الرسول وقديسية الوحي ، ولكن
الاسلام ، كان استجابة لفروية قائمة جاءت في حينها الموقوت من لدن رحيم هليسم ،
كتب على رسوله ان يشر وينذر ويتعلم في سبيل الله ضروباً من الارهاق واللباجة
والأذى .

فهرس المصادر والمراجع

الآلوسي - محمود شكري (ت ١٣٤٢هـ)

١ - بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب - بعناية الاثري ط ١٩٢٤م

ابن الاثير - علي بن محمد بن الجزري (ت ٦٣٠هـ)

٢ - الكامل في التاريخ - ط المنيرة مصر ١٣٤٩هـ

٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ط المكتبة الاسلامية طهران

ابن الاثير - أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري

(ت ٦٠٦هـ)

٤ - النهاية في غريب الحديث والاثر - ط حجر

احمد امين

٥ - فجر الاسلام - ط ٧ النهضة مصر

الاصمغاني - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي (ت ٣٥٦هـ)

٦ - الاغانى - ط دار الكتب و ط ساسي

الاصمعي - أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٥هـ)

٧ - الاصمعيات - تحقيق شاكر وهارون ط دار المعارف

الاعشى - ميمون بن قيس (ت ٦٢٩م)

٨ - ديوان الاعشى - تحقيق محمد حسين ط مكتبة الجاهليين

الوارد

٩ - العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين - ط ليدن

البخري - الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤هـ)

- ١٠ - حماسة البحري - ط ليدن ١٩٠٩ م
- البخاري - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)
- ١١ - صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - ط اوربا
- البكري - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ)
- ١٢ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - تحقيق مصطفى السقا ١٩٤٥ م
- البلاذري - أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)
- ١٣ - نساب الأشراف - الجزء الأول ط دار المعارف والجزء الخامس ط الجامعة المصرية
- ١٤ - فتوح البلدان - ط المصرية ١٩٣٢ م
- التبريزي - أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٢٠ هـ)
- ١٥ - شرح الحاشية - ط السعادة ١٣٤٦ هـ
- ١٦ - شرح المملقات العشر - تحقيق كارلوس لايل ط ليدن
- الشعالي - عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ هـ)
- ١٧ - فقه اللغة ولسان العربية - نشر سليجمان
- الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
- ١٨ - البيان والتبيين - تحقيق هارون ط لجنة التأليف ١٩٤٨ م
- ١٩ - الحيوان - تحقيق هارون ط الحلبي ١٩٤٥ م
- جرجي زيدان
- ٢٠ - العرب قبل الإسلام - بعناية حسين مؤنس
- جواد علي

- ٢١- تاريخ العرب قبل الاسلام - ط المجمع العلمي العراقي - بغداد
ابن الجوزي - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٦٧ هـ)
- ٢٢- المنتظم في تاريخ الامم والملوك - ط حيدر آباد ١٣٥٩ هـ
جوستاف لوبون
- ٢٣- حضارة العرب - ط الحلبي ١٩٢٥ م
الجوهري - أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ هـ)
- ٢٤- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - تحقيق احمد عبدالقفور
حاتم الطائي
- ٢٥- ديوان حاتم الطائي - ط لندن ١٨٧٢ م
حافظ وهبة
- ٢٦- جزيرة العرب في القرن العشرين - ط القاهرة ١٩٤٦ م
ابن حبيب - محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)
- ٢٧- المحبر - ط الهند ١٩٤٢ م
حتي - فيليب حتي وجرجي جبور
- ٢٨- تاريخ العرب مطول - ط الكشف ١٩٥٢ م
حسان بن ثابت - الخزرجي الانصاري (ت ٥٥٤ هـ)
- ٢٩- ديوان حسان بن ثابت - ط هيرشفيلد لندن ١٩١٠ م
الحصري - أبو اسحق ابراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ)
- ٣٠- زهر الآداب - ط السعادة ١٩٥٣ م
الخطيئة - جرول بن اوس (ت ٣٠ هـ)
- ٣١- ديوان الخطيئة - تحقيق نعمان امين طه ط سنة ١٣٧٨ هـ
الخوفي - احمد محمد

- ٣٢- الحياة العربية في الشعر الجاهلي - ط ٤ نهضة مصر
- ٣٣- المرأة في الشعر الجاهلي - ط نهضة مصر ١٩٥٤م
- ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٨٠هـ)
- ٣٤- تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) - ط دار
الكتاب اللبناني ١٩٥٦م
- ٣٥- مقدمة ابن خلدون - ط مصطفى محمد ، مصر
- الدينودي - أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت ٨٢٨هـ)
- ٣٦- الاخبار الطوال - ط وزارة الارشاد القومي مصر
- الزبيدي - محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)
- ٣٧- تاج المروس في جواهر القاموس
- الزنجشيري - أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر (ت ٨٥٢هـ)
- ٣٨- تفسير الكشاف - ط مصر
- ٣٩- الفائق في غريب الحديث - نشر البجاوي وابي الفضل ١٩٤٥م
- ٤٠- اعجب المعجب في شرح لامية العرب - ط حجر
زهير بن ابي سلمى
- ٤١- ديوان زهير شرح ثعلب - ط دار الكتب ١٩٤٤م
- ابو زيد - سعيد بن اوس بن ثابت الانصاري (ت ٢١٥هـ)
- ٤٢- كتاب المطر - ضمن البلغة في شذور اللفظة شيخو بيروت ١٩٠٨م
- ابن سعد - محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)
- ٤٣- الطبقات الكبير - ط سخو ليدن
- ابن سلام - محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)
- ٤٤- طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاكر ط - دار المعارف مصر

- السهيلى - ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخنعمي (ت ٨٥٨١).
- ٤٥ - الروض الانف - ط سنة ١٩١٤
- الشهرستاني - محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ)
- ٤٦ - الملل والنحل - نشر محمد بدران - القاهرة ١٩٤٧ م
- شيخو - لويس شيخو اليسوعي (ت ١٩٢٧ م)
- ٤٧ - شعراء النصرانية - ط بيروت ١٩٢٦ م
- صاعد الاندلسي - القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد (ت ٤٦٢ هـ).
- ٤٨ - طبقات الامم - ط السعادة مصر
- الضي - المفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٠ هـ)
- ٤٩ - المفضليات - شرح ابن الانباري - نشر كارلوس لايل ط ليدن ١٩٢٠ م
- الطبري - ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
- ٥٠ - تاريخ الطبري - ط اوربا وط الحسينية
- ابن العبري - ابو الفرج غريغوريوس بن هارون الماطلي (ت ٦٨٥ هـ)
- ٥١ - مختصر الدول - ط بيروت
- ابن عبد البر - ابو عمر يوسف بن عبد الله النمرى القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)
- ٥٢ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب - تحقيق محمد البجاوي - ط نهضة مصر
- ٥٣ - الانباء على قبائل الرواة - ط القاهرة ١٣٥٠ هـ
- ابن عبد ربه الاندلسي - (ت ٣٢٧ هـ)
- ١٢٣ -

٥٤ - العقد الفريد - تحقيق احمد امين وآخرون ط ١٩٤٦ م

عبيد بن الارص

٥٥ - ديوان عبيد بن الارص - نشر شارلس ليال - ط دار المعارف

مصر

ابو عبيدة - معبر بن المشي (ت ٢١٠ هـ)

٥٦ - النقائص - تحقيق بيفان - ط ليدن ١٩٠٥ م

عرام بن الاصبغ السلمي - (ت القرن الثالث الهجري)

٥٧ - اسما جبال تهامة وسكانها - تحقيق هارون ١٢٧٣ هـ

عروة بن الورد العبسي

٥٨ - ديوان عروة بن الورد - شرح ابن السكيت - ط ابن ابي شنب

الجزائر ١٩٢٦

العلي - صالح احمد العلي

٥٩ - محاضرات في تاريخ العرب - ط ٣ بغداد ١٩٦٤

الغزي - نجم الدين

٦٠ - الكواكب السائرة - ط بيروت ١٩٤٥ م

ابو الفداء - عماد الدين اسماعيل صاحب حماة (ت ٥٧٣٢)

٦١ - المختصر في اخبار البشر - ط الحسينية مصر

الفرزدق - همام بن غالب (ت ١١٠ هـ)

٦٢ - ديوان الفرزدق - ط الصاوي

فروخ - عمر فروخ

٦٣ - تاريخ الجاهلية - ط بيروت ١٩٦٤ م

ابن الفقيه - ابو بكر احمد بن محمد الحمذاني (ت ٣٦٥ هـ)

- ٦٤- مختصر كتاب البلدان - نشر دي غويه ط ليدن ١٨٨٥م
 الفيروز آبادي - مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٦ هـ)
 ٦٥- القاموس المحيط - ط ٢ مصر
 القالي - ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ)
 ٦٦- امالي القالي (الامالي والنوادر) - ط السعادة مصر ١٩٥٣م
 ابن قتبية - ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)
 ٦٧- كتاب الاشربة - تحقيق محمد كرد علي - ط دمشق ١٩٤٧م
 ٦٨- كتاب الانواء في مواسم العرب - نشر شارل بيلا - ط الهند
 ١٩٥٦م
 ٦٩- الشعر والشعراء - ط ليدن ١٩٠٤م
 ٧٠- عيون الاخبار - ط دار الكتب ١٩٢٥م
 ٧١- المعارف - ط دار الكتب ١٩٦٠م
 ابن الكلبي - ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٥ هـ)
 ٧٢- الاصنام - تحقيق احمد زكي - ط دار الكتب ١٩٢٤م
 لبيد بن ربيعة العامري - (ت ٤٠ هـ)
 ٧٣- ديوان لبيد بن ربيعة - تحقيق احسان عباس ط الكويت ١٩٦٢م
 المسعودي - علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ)
 ٧٤- مروج الذهب - ط يحيى الدين عبد الحميد
 ابن مسكويه - أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)
 ٧٥- تجارب الامم - نشر كايثاني - ط ليدن ١٩٠٩م
 المرزوقي - أبو علي احمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ)
 ٧٦- الازمنة والامكنة - ط دائرة المعارف الهند ١٣٣٢ هـ

٧٧- شرح ديوان الحماسة - تحقيق احمد امين وهارون ط ١٩٥١م
ابن منظور - جمال الدين محمد بن المكرم الافريقي الانصاري
(ت ٥٧١٦ هـ)

٧٨- لسان العرب - ط بولاق وط صادر بيروت
الميداني - ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)
٧٩- مجمع الامثال - ط ٢ السعادة ١٩٥٩م
النايفة الذبياني

٨٠- التوضيح والبيان عن شعر نائفة ذبيان - ط السعادة مصر
ابن النديم - ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب (ت ٣٨٥ هـ)
٨١- الفهرست - ط لايزك ١٨٧١م و ط الاستقامة مصر
النوري - احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٢ هـ)

٨٢- نهاية الارب - ط دار الكتب ١٩٢٩م
ابن هشام - ابو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ)
٨٣- السيرة النبوية - تحقيق السقا واخرين ١٩٥٥م
الهمداني - ابو محمد الحسن بن احمد (ت ٢٣٤ هـ)

٨٤- صفة جزيرة العرب - نشر محمد النجدي ط السعادة مصر ١٩٥٣م
الواحدي - ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري
٨٥- اسباب نزول القرآن - تحقيق احمد صقر - ط مصر
الواقدي - محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ)

٨٦- المغازي (مغازي رسول الله) - ط السعادة ١٣٦٧ هـ
ياقوت - شهاب الدين الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)

٨٧- معجم البلدان - ط لايزك ١٨٦٦م

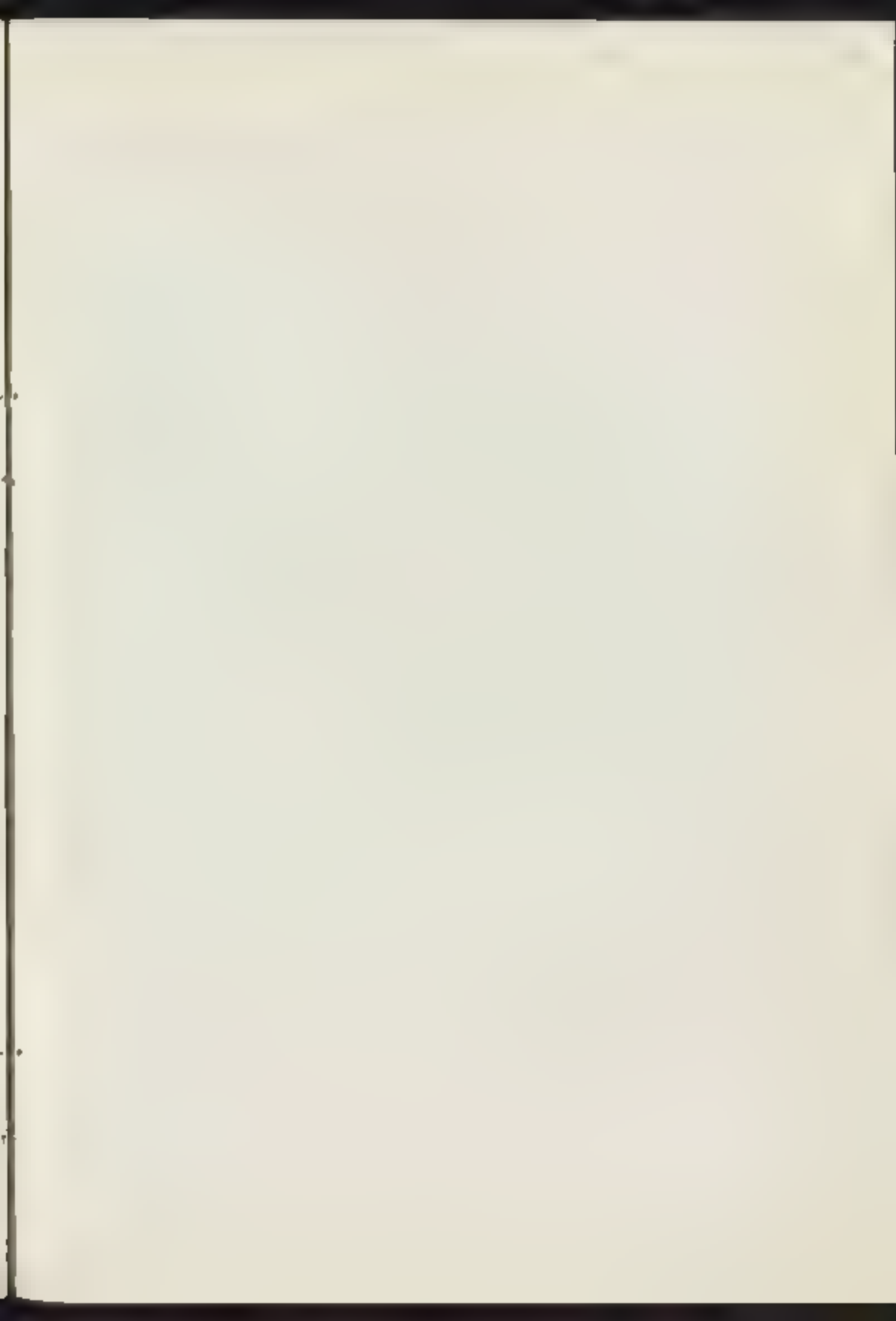
اليقوي - احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٢ هـ)

٨٨- تاريخ اليقوي - ط الغري النجف ١٣٥٨ هـ

المراجع الاجنبية

KHUDA BURKSH :

- 89- Contributions to the History of Islam
Civilization - Calcutta. 1930.
Mohammad Ali :
- 90- Mohammad the Prophet - Lahore. 1933.
Nicholson (R. A.) :
- 91 A Literary History of the Arabs - London 1941.
O'Leary (De Lacy) :
- 92- Arabia before Mohammad 1927.
R. Smith :
- 93- Kinship and Marriage in old Arabia. London 1907.
Sayce. (A. H.) :
- 94- Early Iseal.
Von Kremer :
- 95- Ueber die Gedichte Des Labyd - Wien 1880.
Perceval (Coussin de) :
- 96- Essai Sur L'Histoire Des Arabes. 1849.
- 97- Encyclopaedia of Islam.



الفهارس

- ١ - الآيات
- ٢ - الأحاديث
- ٣ - الأمثال
- ٤ - القوافي
- ٥ - الاعلام
- ٦ - القبائل والأمم والأديان ونحوها
- ٧ - المواضع والبلدان
- ٨ - الموضوعات

١- فهرس الايات الكريمة*

الصفحة	الآيات	السورة ورقم الآية
١٣	واذكر أخطاءك إذ أنذر قومك بالاحقاف .	الاحقاف ٢١
٩١، ١٧-١٦	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .	سبأ ١٥
٢٥	وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .	الفرقان ٦٣
٢٥	اتقوا التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .	النساء ١٧
٢٦	وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .	الفرقان ٦٣
٢٩	ليخرجكم من الظلمات الى النور .	الحديد ٩
٢٩	يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .	آل عمران ١٥٤
٢٩	أنفكم الجاهلية ينفون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .	المائدة ٥٠
٢٩	وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى .	الاحزاب ٣٣
٢٩	إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية .	الفتح ٢٦

الصفحة	الآيات	السورة ورقم الآية
٣١	وجاء المذرون من الأعراب ليؤذن لهم .	التوبة ٩٠
٣٢	ومن حولكم من الأعراب منافقون	التوبة ١٠١
٣٢	الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله	
	والله عليم حكيم .	التوبة ٩٧-٩٨
٣٢	يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي	
	إسلامكم .	الحجرات ١٧
٧٦، ٣٣	قالت الأعراب أما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .	الحجرات ١٤
٣٤	ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر	التوبة ٩٩
٧٣	وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم .	النحل ٥٨-٥٩
٧٤	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم .	الاسراء ٣١
٧٧	أتركون في ماها هنا آمنين في جنات وعيون وزروع وتخل طلعها هضيم .	الشعراء ١٤٦-١٤٩
٨١	لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف .	قريش ١-٢
٨٣	فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .	قريش ٣-٤

الصفحة	الآيات	السورة ورقم الآية
٨٢-٨٤	او لم تكن لهم حرماً آمناً يجئى اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون .	القصص ٥٧
٨٥	والانعام خلقها لكم فيها دف. ومنافع ومنها تا كلون .	النحل ٧-٥
٨٥	والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظمتكم ويوم اقامتكم .	النحل ٨٠
١٠٤	وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .	الزمر ٣
١٠٤	ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم .	يونس ١٨
١٠٤	ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله .	لقمان ٢٥
١٠٤	ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون .	الزخرف ٨٧
١٠٤	قل من يرزقكم من السماء والارض .	يونس ٣١
١١١	ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً .	آل عمران ٦٧
١١٠	ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين .	النحل ١٢٠

<u>الصفحة</u>	<u>الآيات</u>	<u>السورة ورقم الآية</u>
١١٠-١١١	ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً .	النحل ١٢٣
١١٢	قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود .	البروج ٤
١١٥	وانه هو رب السمى .	النجم ٤٩
١١٦	وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .	النمل ٢٤
١١٦	وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نفوت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .	الجاثية ٢٤

٢- فهرس الأحاديث*

الصفحة	
٢٥	إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل .
٢٨	من استجهل مؤمناً فعليه إثمه .
٢٨	إنك امرؤ فيك جاهلية .
٢٨	ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عترة .
٢٩	ولكن اجتهدته الحمية .
١٠١-١٠٢	ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه ، قرآن أنزله الله تعالى عليّ وهو هدى ونور .
١١١	بعثت بالحنيفية السمحة .
١١١	أحب الأديان عند الله الحنيفية السمحة .
١١٣	وانه من تبعنا من يهود فإن له النصره والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

٣- فهرس الامثال

- آخر الدواء الكي : ٩٧
أطب من ابن حذيم : ٩٧
أقربى من مطاعيم الريح : ٦٤
سيد معمم : ٤٥
في الجريرة تشتوك العشيرة : ٤٤
كجالب التمر الى هجر : ١٧

٤- فهرس القوافي

الصفحة	القائل	البحر	القافية	اول البيت
٦٨	حسان بن ثابت	وافر	اللقاء	ونشر بها
١٠٥	الناطقة الذبياني	طويل	مذهب	حلفت
٤١	عامر بن الطفيل	طويل	موكب	اني وان كنت
١١٥	عدي بن زيد	وافر	والصليب	سعى الاعداء
٨٧	عمرو بن معد يكرب	كامل	طيب	أبني زياد
٧٩	عمرو بن كلثوم	طويل	أبا	حلا الله
٧٩	معاوية بن مالك	وافر	غضابا	اذا سقط
٩٩	شاعر	طويل	مرت	خير
١٠٥	ابو قيس بن الأسلت	وافر	أنتيت	أجرت
٦٠	كعب بن مالك	متقارب	الأدعج	فلاقاه
١٠٥	عبيد بن الأبرص	بسيط	نصفاح	حلفت
٦٢	عروة بن الورد	طويل	جاهد	أنهزأ
١٠٩	رجل من بني ملكان	طويل	سعد	أتينا
١١١	عبد الله بن أنيس	طويل	محمد	وقلت
٧٤	الفرزدق	مجزوء الكامل	توأد	ومنا الذي
٦١	دريد بن الصمة	طويل	أرشد	وهل أنا
٦٩	طرفة بن العبد	طويل	ومتلدي	وما زال
٧١	طرفة بن العبد	طويل	عودي	فلولا ثلاث

الصفحة	القائل	البحر	القافية	اول البيت
٧٨	الأعشى	كامل	يحصدا	لسنا كن
٥٤	جيلة بن الأيهم	طويل	ضرد	تنصرت
٧٣	حاتم الطائي	طويل	الذكر	أماوى
١٠٤	أوس بن حجر	طويل	أكبر	وباللات
٥٠	شاعر	طويل	غرر	ابى القلب
٧٠	المنخل البشكري	مجزوء الكامل	تعودى	ان كنت
٦٥	الحطينة	طويل	حاضره	وشر المنايا
١٠٨	امرؤ القيس او غيره	رجز	المقبورا	لو كنت
٦٠	كعب بن مالك	طويل	مقنع	بجنا
٨٨	شاعر	بسيط	جوع	اقول بالمصر
٩٩	ليبد بن ربيعة	طويل	صانع	لعمر ك
٨٦	شاعر	وافر	تباع	أبيت اللعن
٥٩	الحادرة	كامل	مجمع	أسمي
٧٢	ام عمرو بنت وقدان	كامل	بالأبرق	فإن أنتم
٨٢	ابو سفيان بن الحارث	طويل	آنك	حسبتم
٢٨	الشنفرى	طويل	أتمل	ولا تزدهى
١٠٦	ليبد	طويل	المحاصل	وكل امرئ
٢٩	عنترة	كامل	المأكل	ولقد أبيت
١٠٦	علاف بن شهاب التيمي	كامل	المفتال	ولقد شهدت
٦٣	الوليد بن عقبة	وافر	عقيل	أرى الجزار

اول البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
وبيض	المسابلا	طويل	ليبد	٧٠
اما والذي	رميم	طويل	حاتم الطائي	١٠٦
فلا تكمن	يعلم	طويل	زهير بن ابي سلمى	١٠٦
فن مبلغ	مقم	طويل	زهير	١٠٥
ينجربنا	وهام	وافر	شداد بن الاسود	١١٦
هلا سألت	تعلمي	كامل	عنزة	٢٦
الاسودان	سقامي	رجز	شاعر	٨٧
لا يفطنون	فطن	كامل	قيس بن عاصم	٦٧
وكن اذا	كاثا	وافر	القطامي	٦٥
قوم اذا	وحدانا	بسيط	قريط بن أنيف	٦٤
الا لا يجهان	الجاهلينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٢٨، ٢٦، ٢٥
ترى اللحن	مهينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٦٨
تهددنا	مقتوبنا	وافر	عمرو بن كلثوم	٥١
يا عمرو	اسقوني	بسيط	شاعر	٦٦
تكذب	ما يمي	طويل	أمامة المزينة	١١١
لمرك	واقبا	طويل	افتون التغلي	١٠٥
وقد ينبت	كهاينا	طويل	شاعر	٦٦

٥ - فهرس الاعلام*

أمية بن أبي الصلت : ٦٩ ، ١١٠ ، ١١٧	(١)
أوس بن حجر : ١٠٤	آشور : ٣٩
أوليري : ٣٤ ، ٤٣ ، ١١٤ ، ١١٦	آكل المرار = حجر بن الحارث
إياس بن قيسة : ٥١	الآلوسي (محمود شكري) : ٢٥
(ب)	٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١
برترام توماس : ١٣	ابراهيم (الخليل النبي) : ٩ ، ١٠٧
البراض بن قيس : ٦٩	١١٠ ، ١١١
برسيغال (دو برسيغال) : ٥٢	ابن الأثير : ٢٨
البيسوس (ناقة) : ٥٥ ، ١٠٠	أحمد - رسول الله محمد
بشار بن برد : ٩٠	أحمد بن تيمية (شيخ الاسلام) : ٣٩
بطريق (لقب الروم) : ٥٣	أحمد بن عبدالله (أبو العباس) : ٣١
أبو بكر (الصديق) : ٣٦ ، ٦٩	اسفنديار : ١٠٠
١٠٠	اسماعيل (النبي) : ١٠٧
البلاذري : ١٩	الاسود بن عبد شمس : ١١٦
اللائير : ١١٠	الاصفهاني (أبو الفرج) : ٧٠
بنات نض (كواكب) : ٩٦	الأعشى (ميمون بن قيس) : ١٨
بهرام جور : ٤٩	٥٤ ، ٧١ ، ٧٨
بهيسة بنت أوس الطائي : ٦٧	افنون التغلبي : ١٠٥
(ت)	الأفوه الأودي : ١٠١
نابط شرآ : ٦٠	أكثم بن صيفي : ١٠١
امرؤ القيس = عمرو بن كلثوم	أمامة المزيرية : ١١١
	الامبراطور : ٥٣ = ٥٥
	امرؤ القيس : ٢٠ ، ٥٥ ، ١٠٨

* لم نذكر هنا اعلام المؤلفين الا الذين ورد ذكرهم في المتن او كان لهم رأي

(ث)

الحارث بن كلدة الثقفي : ٩٤ ، ٩٧ •

حجر بن الحارث (أكل المراز) : ٥٤ •

• ٥٥

ابن حذيم التميمي : ٩٧ •

الحرون (فرس) : ٨٦ •

حسان بن ثابت : ٥٤ ، ٦٨ ، ٨٢ •

• ٩٣

حضرني بن عامر : ٣٧ •

حليمة (يوم حليمة) : ٥٣ •

حمزة بن عبدالمطلب : ٦٥ •

الحوفي (الذكور أحمد) : ٦٣ ، ٧٤ •

الحطيئة : ٦٥ •

(خ)

خالد بن سنان العنسي : ١١٠ •

خالد بن الوليد : ٥١ •

ابن خالويه : ٣٠ •

خدايش : ٩٠ •

ابن خلدون : ٢٤ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٣ •

• ٩٦

(٥)

داحس (فرس) : ٨٦ ، ١٠٠ •

دريد بن الصمة : ٦١ •

دغفل بن حنظلة التميمي : ١٠٠ •

(ذ)

أبو ذر : ٢٨ •

ذو ريدان (من ملوك اليمن) : ٥٤ •

ذو نواس : ١١٢ •

الغالب : ٩٦ •

النور (برج النور) : ٩٦ •

نورا (النور بالكلدانية) : ٩٦ •

(ج)

الجاحظ (عمرو بن بحر) : ٩٥ •

• ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ •

جبل بن جوال : ١١٣ •

جيلة بن الأيهم : ٥٣ •

الجدي (برج) : ٩٦ •

جذيمة الأبرش : ٤١ •

الجرادتان (مقبان) : ٦٨ •

جر جي زيدان : ٥٠ •

جرير : ٧٩ •

جستيان (امبراطور الروم) : ٥٣ •

جفنة بن عمرو : مزبها •

الجوزاء (كوكب) : ٩٦ •

الجون (فرس) : ٨٦ •

الجوهري : ٣١ •

(ح)

حاتم الطائي : ٦٣ ، ١٠٦ •

الحادرة (قطبة بن أوس) : ٥٩ •

الحارث بن أبي شمر : ٥٣ •

الحارث بن جيلة : ٥٢ •

الحارث بن عمرو : ٥٥ ، ٥٥ •

الحارث بن عوف : ٦٧ •

(د)

- دبيعة بن حذار : ١٠١ •
- الربيع بن زياد : ٩٣ •
- ربيع المقرين (ربيع بن مالك) : ٦٤ •
- ردينة (تسبب اليها الرماح) : ٨٠ •
- رستم : ١٠٠ •
- رسول الله = محمد •
- رينان : ٩١ ، ١٠٧ •
- ابن سلام (الجمحي) : ٨٣ •
- سلمان بن ربيعة الباهلي : ٩٨ •
- سلمة (بن الحارث بن عمرو) : ٥٥ •
- سليمان (النبي) : ١١٦ •
- سمالك اليهودي : ١١٣ •
- السموأل (بن عدياء) : ١١٣ •
- سينة (في شعر الحادوة) : ٥٩ •
- أم سيلة الأسلمية : ٣٦ •
- سويد بن الصامت : ١٠١ •

(ذ)

- الذمخشري : ٨٣ ، ١٠١ •
- زهير بن أبي سلمى : ٧٨ ، ٦٧ •
- ١٠٥ ، ١٠١ •
- زيد بن عمرو بن ثعلب : ٩٤ ، ١٠٩ •
- ١١٧ ، ١١٠ •
- أبو زيد الأنصاري : ٩٦ •
- زيد بن الكيس النمرى : ١٠ •
- سداد بن الأسود : ١١٦ •
- شرحبيل (بن الحارث بن عمرو) : ٥٥ •
- الشعري (الكوكب) : ٩٦ •
- شقائق النعمان (ورد) : ٢٣ •
- الشنفرى : ٢٧ ، ٦٠ •

(ص)

- صاعد الأندلسي : ٩٥ ، ١٠٣ •
- صالح (النبي) : ١٥ •
- صرفة بن أنس : ١١٠ •
- صغصمة بن ناجية : ٧٤ •
- الصليب (عند النصارى) : ١١٥ •
- السائح (النعمان الأعور) : ٤٩ •
- سابور الاول : ٤٩ •
- سايس (مستشرق) : ٩٢ •
- السرطان (برج) : ٩٦ •
- سعد (صنم) : ١٠٩ •

(ض)

- ابن ضيا الأسدي : ٤٦ •
- ضرار بن الأزور : ٣٢ •
- أبو سفيان بن الحارث : ٨٢ •
- أبو سفيان بن حرب : ٧١ ، ٧٢ •
- ٨٢ •
- سكاك (فرس) : ٨٦ •

(ط)

اعرام بن الاصمغ السلمي : ٣٦ ،

• ٥٨

عروة بن الورد : ٦٠ ، ٦٢ •

العسكري (الحسن بن عبدالله) :

• ١٠١

ابو عفك : ١١١ •

أبو عقيل = لبيد •

علاف بن شهاب التيمي : ١٠٦ •

عتلان الشعبي : ٩٠ •

عقمة الفحل : ٥٤ •

عمر بن الخطاب : ١٤ ، ٥٤ ، ٩٠ ،

• ٩٨

عمرو بن عدى اللخمي : ٤٩ •

عمرو بن كلثوم : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ،

• ٥٠ ، ٦٨ ، ٧٩ •

عمرو بن لحي : ١٠٧ •

عمرو بن معد يكرب : ٨٧ •

عمرو انقصور : ٥٤ •

عمرو بن نفل : ٩٤ •

عمرو بن هند (المحرق) : ٥٠ ،

• ٦٨

ام عمرو بنت وفدان : ٧٢ •

عمير بن شيم = القطامي •

عترة العبيسي : ٢٦ ، ٢٨ •

عيسى (النسي) : ٢٩ ، ١١٤ ، ١١٥ •

العيوق (كوكب) : ٩٦ •

طرفة بن العبد : ٥٠ ، ٦٩ ، ٧١ •

• ١٠١

(ع)

عائشة (أم المؤمنين) : ٣٦ ، ٦٩ •

عامر (بن صعصعة) : ٤٤ •

عامر بن الطفيل : ٤٤ •

عامر بن الطروب : ١٠٩ •

العباس بن مرداس : ٦٩ •

عبدالله بن أبيس : ١١١ •

عبدالله بن جدعان : ٦٨ •

عبدالله بن الزبيرى : ٨٣ •

عيد شمس : ٨١ ، ٩٣ ، ١١٦ •

عيد الرحمن بن عوف : ٦٩ •

عبد العزيز : ١١٦ •

عبدالمطلب (جد الرسول) : ٨١ ، ٩٣ •

عبد الملك بن مروان : ٦٢ ، ٦٥ •

عيلة (ابنة مالك) : ٢٦ •

عبيد بن الأبرص : ١٠١ ، ١٠٥ •

أبو عبيدة (معمر بن النسي) : ٤٨ ،

• ٩٠

عثمان بن عفان : ٣٤ ، ٦٩ ، ٨٨ •

عثمان بن مظعون : ٦٩ •

عدنان (جد عرب الشمال) : ١٠٠ •

عدى بن زيد العبادى : ٥١ ، ١١٤ •

• ١١٥

العزى (صنم) : ١٠٤ •

(غ)

الغبراء (فرس) : ٨٦ ، ١٠٠ •

(ف)

الفرزدق : ٧٤ ، ٧٩ •

الفرقدان (كوكب) : ٩٦ •

فون كريم : ١٠٩ •

فيلارك (لقب الروم) : ٥٣ •

(ق)

أبو قابوس (المنذر الثالث) : ٥١ •

• ٥٣

قباد (ملك الفرس) : ٥٥ ، ٥٥ •

ابن قتيبة : ٩٥ ، ٩٦ •

قحطان (جد عرب الجنوب) : ١٠٠ •

القرآن (كتاب الله) : ١٣ ، ١٥ ، ١٦ •

• ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ •

• ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ١٠٣ •

• ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦ •

قرزل (فرس) : ٨٦ •

قريب بن أنيف : ٦٤ •

قس بن ساعدة : ١٠١ ، ١١٠ •

قصي بن كلاب : ١٠١ •

قطبة بن أوس = الحارثة •

القطامي (عمير بن شيم) : ٦٥ •

أبو قيس بن الأسلت : ١٠٥ •

قيس بن عاصم : ٢٨ ، ٦٧ ، ٦٩ •

قصر (ملك الروم) : ٥٣ •

(ك)

الكتاب (الوثيقة) : ١١٣ •

كديا (برج الجدى بالكلدانية) : ٩٦ •

كسرى (الو شروان) : ٥٠ ، ٥١ •

• ٥٥ ، ٩٣ ، ١٠٠ •

كعب الاحبار : ١١٢ •

كعب بن الأشرف : ١١٣ •

كعب بن مالك : ٦٠ •

ابن الكلبي (هشام بن محمد) :

• ٥٢ ، ١٠٧ •

كثانة بن عبد ياليل : ٦٤ •

(ل)

اللقمي بن غالب : ١٠١ •

اللات (صم) : ١٠٤ ، ١٠٥ •

ليد بن ربيعة (أبو عقيل) : ٣٩ •

• ٥١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٩ •

• ٩٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ •

ابن لسان الحمراء : ١٠٠ •

لقمان بن عاد : ١٠١ •

لقيم بن لقمان : ١٠١ •

لويس شيخو : ١١٠ •

أبو ليلى = النابتة الجعدي •

ليلى (ام عمرو بن كلثوم) : ٥١ •

(م)

مالك بن مسمع : ٦٥ •

المتلمس : ٥٠ •

- المثقب العبدى : ٥١ •
 مجاشع بن دارم : ١٠١ •
 محمد (النبي ، رسول الله) : ٢٥ •
 ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ •
 ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ •
 ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ •
 محمد بن حبيب : ٩٣ •
 مرداخ (المريخ بالكلدانية) : ٩٦ •
 المزيقياء (جفنة بن عمرو) : ٤١ •
 ٥٢ •
 ابن مستطاع العنبري : ٦٥ •
 المسيح - عيسى النبي •
 معاوية (في شعر حاتم الطائي) : ٧٣ •
 معاوية بن أبي سفيان : ٨٠ •
 معاوية بن مالك (معود الحكماء) :
 ٧٩ •
 معد يكره (بن الحارث بن عمرو) :
 ٥٥ •
 المنذر (بن ماء السماء) : ٤٩ ، ٥٠ •
 ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ •
 المتخل الشكري : ٥١ ، ٧٠ •
 الميداني : ٤٨ ، ١٠١ •
 (ن)
 النابغة الجعدي (أبو ليلى) : ٣٤ ، ٨٨ •
 النابغة الذبياني : ٥١ ، ٥٤ ، ٩٣ •
 ١٠٥ •
 ١١٥ : (عند النصارى)
 ١١٤ :
 ١٠٠ :
 ٨٦ : (فرس)
 النعمان بن المنذر (الأعور) : ٤٩ •
 ٥١ ، ٧٩ ، ٩٣ •
 نوفل (بن قريش) : ٩٣ •
 نيكلسون (المستشرق) : ١٠٨ ، ١١٠ •
 (هـ)
 هاشم (بن عبد مناف) : ٨١ ، ٩٣ •
 هرم بن سنان : ٢٨ ، ٦٧ •
 الهمداني : ١١ •
 هند بنت عتبة : ٧٢ •
 هند (أم عمرو بن هند) : ٥١ •
 هود (النبي) : ١٣ •
 هومل (مؤلف) : ٩٢ •
 (ز)
 وحشي (عبد بن نوفل) : ٦٠ •
 ورقة بن نوفل : ١١٠ •
 الوليد بن عقبة (أمير الكوفة) : ٦٣ •
 وهب بن منبه : ١١٢ •
 (ي)
 ياقوت (الرومي الحموي) : ١٥ •
 ١٧ ، ١٨ •
 يزيد جرد الاول : ٤٩ •
 يعقوب البرادعي : ١١٤ •

٦ - فهرس القبائل والامم والاديان ونحوها

الاصنام : ٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،	(ا)
• ١٠٨	الآلهة : ١٠٤
الأعراب : ٧ ، ٩ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ ،	الاحباش (الحبش) : ٨ ، ٦٠ ، ٩٣ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،	• ١١٧ ، ١١٢
٣٦ ، ٥٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٨ ،	الاحناف : ٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ،
• ١٠٣	الأرمين : ٣١
الأكراد : ٣١	الأزد : ٤٠ ، ٤١
إله الخير : ١١٥	ازد السراء : ٤١
إله الشر : ١١٥	ازد شنوءه : ٤١
الأمّة العربية : ٨٩	أزد عمان : ٤١
الأمم الخالية : ١٠٠	أسد (بنو أسد) : ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ،
الأموية (فترة) : ٣٠	٤١ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٦ ،
الأسباط : ٩١	• ٩٩
الاعشار : ٣٣	الاسرائيليات : ١١٢
أهل الكتاب : ١١٧	الاسلام (دين) : ٧ ، ١٤ ، ١٥ ،
أهل المدينة : ٣٢	١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،
الأوثان (وثن ، وثني) : ٢٧ ، ١٣ ،	٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ،
١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،	٣٧ ، ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ،
الأوربيون : ٩١	٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٨ ،
الأوس : ٤١ ، ٥٨ ، ١١٢	٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ،
ايباد (قبيلة) : ٤٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١١٤ ،	• ١١٣ ، ١١٧
(ب)	أسلم (قبيلة) : ٣٦
باهلة بن أعصر (قبيلة) : ٤٠	الأتعرون : ٤٢
بجيلة (قبيلة) : ١٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ،	أصحاب الدهر (الدهرية) : ٢٧ ،
البدو : ٧ ، ٢٤ ، ٥٧	• ١١٦

(ج)

الجاهلية (جاهلي ، جاهليون) : ٣٠

٢٨-٢٤ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥ ، ٦

٣٠ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ٦٩

٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٩

٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٣

١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠

١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥

الجزاء (يوم) : ١١٦

جديس (قبيلة) : ١٧ ، ١٨

جذام (قبيلة) : ١٥ ، ٤٢ ، ٥٢

١١٤

جشم (قبيلة) : ٦١

جعفر بن كلاب (قبيلة) : ٤٦

آل جفنة : ٤١ ، ٥٢

جمرات العرب : ٤٧

جهينة (قبيلة) : ١٥ ، ٣٥ ، ٤٢

٥٨

(ح)

بنو حارثة بن عمرو : ٤١

بنو حارثة بن كلب : ٩٦

الحبس (الحبيبات) : ٦٠ ، ٩٤

الحساب (يوم) : ١٠٦

حسل (قبيلة) : ٦٥

حسيل (قبيلة) : ٦٥

الحضر : ٧ ، ٥٧

بنو الحلاف بن الحارث : ٣٣ ، ٧٦

البحث (القيامة) : ٣٠ ، ١٠٦ ، ١١٦

البحنة (النوبة) : ٣٠

بكر (قبيلة) : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٥

١١٤

أبو بكر بن كلاب (قبيلة) : ٤٦

بلي (قبيلة) : ١٥ ، ٤٢

بهراء (قبيلة) : ٤٢

بنو بهدل : ١١٢

البيزنطيون : ١١٧

(ت)

التبابعة (ملوك) : ١١٢

التر : ٣٩

التلث (عند النصارى) : ١١٥

الترك : ٣٩

تقلب (قبيلة) : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٥

١١٤

تبسم (قبيلة) : ١٨ ، ٤٠ ، ٤٦

٥٠ ، ٧٤ ، ١١٥

تنوخ (قبيلة) : ٤١ ، ٤٩

التوحيد : ٩ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١

(ث)

بنو ثعلبة بن عمرو : ٥٧

ثقيف : ٣٩ ، ٥٨

ثمود (قوم صالح) : ١٥ ، ٧٧ ، ٩١

ثنوية (نحلة) : ١١٥

- الحلول (قبيلة) : ٦٥ •
 حمير (الحميريون) : ٥٤ ، ٤٢ •
 • ٩١
 الحنيفة (دين) : ٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ •
 • ١١١
 بنو خيفة : ٤٠ •
 حوثكة (قبيلة) : ٤٢ •
 (خ)
 خشم (قبيلة) : ٤٢ •
 خزاعة (قبيلة) : ٤١ ، ١١٥ •
 الخزرج : ٤١ ، ٥٨ ، ١١٢ •
 خندق (قبيلة) : ٤٣ •
 (د)
 دين الله : ١١١ •
 دين ابراهيم : ٨ ، ٩ ، ٩٤ ، ١٠٧ •
 • ١٠٩ ، ١١١
 الدهرية : ٩ •
 (ذ)
 ذبيان (الذيانيون) : ٤٦ ، ٦٧ •
 • ١٠٥
 (ز)
 زبيعة (قبيلة) : ٤٠ •
 الروم (الرومان ، الروميات) : ٨ •
 • ٣١ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ •
 • ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١٢ •
 • ١١٤
 الرقيق الأسود : ٦٠ ، ١١٤ •
 (ز)
 بنو زهرة : ٤٦ •
 بنو زياد : ٨٧ •
 (س)
 الساسنة : ٤٩ •
 الساميون : ١٠٧ •
 سمد بن نعيم (قبيلة) : ٤٠ •
 سمد هذيم (قبيلة) : ٤٢ •
 سليم (قبيلة) : ١٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٧٨ •
 • ٨٢
 السريان : ٤٩ •
 (ش)
 الشريك : ٢٩ ، ١١٦ •
 الشعري (عبادة النجوم) : ١١٥ •
 الشعوية : ٨٩ ، ٩٠ •
 الشمس (عبادة الشمس) : ١١٦ •
 (ص)
 الصابئة (عبدة الكواكب) : ٩ ، ٢٧ •
 • ٩٥ ، ١٠٤ ، ١١٥ •
 الصحابة : ٩٠ ، ٩٧ •
 الصالحات : ٦٠ ، ٦٢ •
 الصليب (عند النصارى) : ١١٥ •
 (ض)
 الضباب (قبيلة) : ٤٦ ، ٦٥ •
 ضبة (قبيلة) : ٤٠ ، ٦٥ •

ضبيب : ٦٥ •

ضيعة : ٤٠ •

الضجاعة : ٥٢ ، ٤٢ ، ٤١ •

(ط)

طسم : ١٨ ، ١٧ •

طي : ١٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ •

(ع)

عاد (قبيلة) : ١٣ •

بنو عامر بن صعصعة : ٥٨ ، ٣٩ •

• ٩٣

عاملة (قبيلة) : ٤٢ ، ٥٢ ، ١١٤ •

العباد : ١١٤ •

عبدة الأوثان : ١٠٣ ، ١٠٤ •

عبادة الكواكب : الصائبة •

عبادة القمر : ١١٥ •

العباسيون : ٩٢ •

عبس (قبيلة) : ٦٢ ، ٦٧ •

بنو عبدالدار : ٤٦ •

بنو عبدالقيس : ١٧ ، ٤٠ •

بنو عبد مناف : ٤٦ •

العبيد : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١١٨ •

العجم : ٨١ •

العدنانية (العدنانيون) : ٣٩ ، ٤٣ •

عدوان (قبيلة) : ٣٩ •

عدرة (قبيلة) : ١٥ ، ٤٢ •

العرب : في مواضع كثيرة •

العزى (صم) : ١١٦ •

عك (قبيلة) : ٤٢ •

عمرو بن عامر (قبيلة) : ٤١ •

عنزة (قبيلة) : ٤٠ •

(غ)

غزية (قبيلة) : ٦١ •

الغساسنة : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ •

• ٥٦-٥١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٤ •

غطفان : ٣٩ •

(ف)

الفتح : ٣٠ •

الفرس (فارس فارسي) : ٨ ، ٣١ •

• ٤٠ ، ٥٠-٥٥ ، ٨٠ ، ٩٠ •

• ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٧ •

فزارة (قبيلة) : ٥٣ •

الفضول (حلف) : ٨٣ ، ١١٧ •

القطر (دين) : ١٠٧ •

قهم (قبيلة) : ٣٩ ، ٨١ •

(ق)

القحطانية (القحطانيون) : ٣٩ ، ٤٠ •

• ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ •

قريش : ٣٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٠ •

• ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٣ •

• ١٠٠ ، ١١٥ ، ١١٦ •

قريش الأباطح : ٣٥ ، ٥٨ •

قريش الظواهر : ٣٥ ، ٥٨ •

- قريظة (قبيلة) : ١١٢ •
 قضاة (قبيلة) : ١٥ ، ٤٢ ، ٥٢ ، الحاشي (حلف) : ٤٦ •
 ١١٤ •
 القياصرة : ١١٢ •
 قيس (قيس عيلان) : ١٤ ، ٣٩ ، مدحج : ٤٢ •
 ٥١ ، ٥٥ •
 قينقاع (قبيلة) : ١١٢ •
 (ل)
 آل كسرى : ٥٢ •
 بنو كعب بن ربيعة : ٣٩ •
 الكفر (كفار) : ١١٦ ، ٣٠ •
 كلب (قبيلة) : ٤٢ ، ٥٢ ، ١١٤ •
 الكلدانية (الكلدانيون) : ٩٥ •
 ٩٦ ، ١١٥ •
 كنانة (قبيلة) : ٣٩ ، ٦٩ ، ١١٥ •
 كندة (قبيلة ، مملكة) : ٤٠ ، ٤٨ •
 ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١١٧ •
 (ل)
 اللاهوت : ١١٤ •
 لحيان (قبيلة) : ٩١ •
 لحم (قبيلة) : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ •
 ١١٥ •
 بنو لهب : ٩٩ •
 (م)
 المانوية : ٩٠ ، ١١٠ •
 المجوس (المجوسية) : ٩ ، ٧٧ ، الشاذرة : ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ •
 ٤٦ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٥ •
 أهل المدر : ٧ ، ٧٦ •
 مدين (قبيلة) : ١٥ •
 مرارة بن عوف (قبيلة) : ٤٦ ، ٩٦ •
 المرتدون : ٣٢ •
 المزدكية : ٥٠ ، ٩٠ •
 مزينة (قبيلة) : ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٨ •
 المشرقون : ٣٣ ، ٩٠ ، ١٠٥ •
 ١١٣ •
 المسلمون : ٢٨ ، ٣٢ ، ٥١ ، ٥٢ •
 ٥٣ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ •
 ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٠ •
 ١١٢ ، ١١٣ •
 الميعة : ٩٢ ، ١١٠ •
 المشرق (أهل المشرق) : ٩٣ •
 المشركون : ١١٠ ، ١١٣ •
 المضربون : ٧٩ •
 مضاعف الرياح : ٦٣ ، ٦٤ •
 النطيون (حلف المطيين) : ٤٦ •
 الممتقون : ٦٠ •
 المغرب (أهل المغرب) : ٩٣ •
 النكيون : ١٦ ، ٨٣ •
 بنو ملكان : ١٠٨ •
 ٧٧ ، ٩ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ •

• ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٩٢ ، أهذيل (قبيلة) : ٣٩ ، ٨١ •

• ٩٣ • بنو هلال : ٣٩ •

• ١١٤ : (مذهب) • همدان (قبيلة) : ٤٢ •

• ٥٣ ، ٣٣ : المهاجرون • الهنود (هندي) : ٨ ، ٩٢ ، ٩٤ •

• ٤٢ : مهرة (قبيلة) • هوزان (قبيلة) : ٣٩ •

الموالي (موالي القبيلة) : ٥٩ ، ٦٠ •

• ٦١ •

(ن)

• ١١٤ : (عند النصارى) • الناسوت

• ١١٤ : نساطرة

• ١٠٩ ، ٢٧ : (تمثيل) • النصب

• ٩٤ ، ٥٣ ، ٩ : (النصارى) • النصرانية

• ١١٥ - ١١٠ •

• ٥٢ ، ٤٩ : آل نصر بن ربيعة

• ١١٢ : بنو النصير

• ٤٠ : النمر بن قاسط

• ٤٠ : بنو نمير

• ٦٠ : بنو نوفل

(هـ)

• ٨٨ : الهجرة

• ٧٦ ، ٧ : (أهل الوبر) • الوبر

• ٢٩ ، ٢٧ ، ٩ : (وتى) • الوثنية

• ٩٤ ، ١١١ ، ١٠٣ ، ١١٥ •

• ١١٦ •

• ١١٨ : الوحي

(ي)

• ١١٤ ، ٥٣ : (مذهب) • اليمامة

• ٥٤ : يمانات (ملوك)

• ٨٠ ، ٧٩ ، ٤٩ : اليمنية

• ٩٢ ، ٥٢ : (اليونانية) • اليونان

• ٩٤ ، ١٥ ، ٩ : (اليهودية) • اليهود

• ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ •

• ١١٥ •

٧ - فهرس المواضع والبلدان

- (أ)
- الأبرق : ٧٢ •
أجأ (جبل طلي) : ١٢ ، ١٨ ، ٤٠ •
البحرين : ١٧ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٤٠ •
البحر الأحمر : ١١ ، ١٦ ، ٢١ •
البحر العربي : ١٣ •
البحر الميت : ٤٢ •
بريدة : ٢٠ •
البصرة : ١٧ •
- (ب)
- البادية : ٧ ، ٨ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٥٦ •
٦٤ ، ٧٥ - ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٧ •
٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٨ •
البحرين : ١٧ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٤٠ •
٤١ ، ٥١ •
البحر الأحمر : ١١ ، ١٦ ، ٢١ •
٤٢ •
البحر العربي : ١٣ •
البحر الميت : ٤٢ •
بريدة : ٢٠ •
البصرة : ١٧ •
- (ج)
- الجبالية : ٥٢ •
الجبل الأخضر : ١٢ •
جدة : ١٦ •
الجزيرة (جزيرة العرب) : بلاد •
شبه جزيرة (: ٧ ، ١١ •
١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ •
٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ •
٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧ •
٦٠ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٩١ - ٩٤ •
١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ •
- (د)
- بلاد العرب = جزيرة العرب •
البيت الحرام = الحرم •
ميشة (واد) : ١٧ ، ٣٩ ، ٤٢ •
السفة (موضع العبادة) : ٩٤ ، ١١٥ •
- (هـ)
- نبالة (واد) : ١٧ •
تليت : ٤٢ •
تربة : ٤٢ •
نكرت : ٧٨ •
سوفة : ١٠٩ •
نومة : ١٦ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٣٩ •
تهامة اليمن : ١٦ •
١٢ ، ٤٢ ، ١١٢ ، ١١٣ •

• جلق : ٥٢	• الحوراء : ١٦
• جوت : ١٨	• حوران : ١٤
• الجولان : ٥٢	• الحوض (حرة) : ١٤
(ج)	• الجيرة : ٤١ ، ٤٩ - ٥٣ ، ٥٥
• حائل : ١٣	• ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤
• الحاجر : ٣٩	• ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٥
• الحبشة : ٢٢ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٨٢	(خ)
• ٩٣ ، ١١٤	• الخدرية (حرة) : ١٤
• الحجاز : ١١ ، ١٥ - ١٩ ، ٢١ ، الخط : ١٧	• خفية : ٥٠
• ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٧	• الخليج العربي : ١١ ، ١٤
• ٧٧ ، ١١٢	• الخورنق : ٤٩ ، ٨٠
• الحجر : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٤٠	• خير : ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٧٧ ، ٨٤
• ٨٤ ، ٩١	• ١١٢ ، ١١٣
• الحماد : ١٢	• خيف سلاء : ٧٨
• الحديدية : ٣٣	(د)
• الحديدية : ١٦	• الدارات : ١٢
• الحرة : ١٤	• دائرة الأرام : ٢٠
• حرة النار : ١٤	• دائرة جلعول : ٢٠
• الحرم (البيت الحرام) : ٣٥ ، ٥٨	• دبا : ٨٤ ، ٩٣
• ٨٣ ، ١٠٧	• دمشق : ٥٢
• الحسا : ٢١	• دمشق : ٢٠
• حمى : ١٥	• الدهاء : ١٣ ، ١٨
• حضرموت : ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٨٤	• دومة الجندل : ٧ ، ٤١ ، ٤٢
• حضور الشيخ (جبل) : ٢٠	• ٤٨ ، ٥٤ ، ٨٤
• حلب : ٤٢	• الدير : ٩٤
• حماة : ٤٢	
• حنين : ٣٩	

(ذ)

ذو الحجاز : ٨٤ •

سورية : ١١ •

سبأ : ١٥ •

(ر)

الرافدان (ارض الرافدين) : ١١ •

الربيع الخالي : ١٢ ، ١٣ ، ٢١ •

رضوى (جبل) : ٣٥ ، ٣٩ ، ٥٨ •

الرفط (دور معاوية) : ٨٠ •

(ش)

الشام : ٧ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٣٨ •

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥١ •

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٨٠ -

٨٣ ، ٩٢ - ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ •

الشحر : ١٣ ، ١٦ ، ٤٢ ، ٨٤ •

شمر (جبل) : ١٢ ، ١٩ •

شوران (حرّة) : ١٤ •

(ز)

زبيد : ١٧ ، ٤٢ •

(ص)

صحار : ٨٤ ، ٩٣ •

الصفراء (قرية) : ٣٥ ، ٥٨ ، ٧٧ •

صفا : ١٧ ، ٢٠ ، ٤٢ ، ٨٤ •

الصوامع : ٩٤ •

الصين : ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٣ •

(س)

السافلة : ١٦ •

سبأ : ٥٤ ، ٩١ ، ١١٦ •

سد مأرب : ٨٠ •

سدوس : ١٧ ، ١٨ •

السدير (قصر) : ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٠ •

السراء (جبال) : ١١ ، ١٦ ، ٣٩ •

٤١ •

السرخان (وادي) : ١٢ ، ٢١ •

سلمى^١ (جبل) : ١٢ ، ١٨ ، ٤٠ •

٤١ •

السماء (بادية) : ١٢ ، ١٨ ، ٤٢ •

السمهرية : ٨٠ •

سُمير : ٤١ •

السند : ٩٣ •

سنداد : ٤٠ •

(ظ)

ظفار : ١٦ ، ١٧ ، ٤٢ •

(ع)

عالج (رملّة) : ١٨ •

عدن : ١٧ ، ٤٢ ، ٨٢ ، ٨٤ •

العراق : ٧ ، ١٢ ، ١٨ ، ٣٨ •

السوارقية (قرية) : ٣٦ ، ٧٨ •

٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، فید : ٤١ •

٥٦ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨١ •

٨٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١١٥ •

(ق)

قدس وآرة (جبل) : ٣٩ •

القدسین (جبل) : ٥٨ •

قرح (مدينة) : ١٥ •

التسطنطينية : ٥٣ •

التصميم : ١٨ •

قطر : ١٤ ، ١٧ ، ٤٠ •

القطيف : ١٧ •

القلزم (بحر) : ١٦ •

القهر : ٨٧ •

(ك)

كاظمة : ١٧ •

الکبة : ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ •

١١٥ •

الکوفة : ٤٩ •

الکویت : ١٧ •

(ل)

اللوية (اللاية) : ١٤ •

اللی (حرقة) : ١٤ •

(م)

مجنة : ٨٤ •

المحيط الهندي : ١٨ •

مدائن صالح : ١٥ ، ١٦ •

مدين : ١١ ، ١٥ •

العروض : ١٧ ، ٣٨ •

عزور (جبل) : ٣٥ ، ٥٨ •

عبر : ١٧ ، ١٩ ، ٢١ •

العفیر : ١٧ •

العقبة (أيلة) : ١٤ ، ٤٢ •

عكاظ : ٨٤ •

الملاء : ١٥ •

عسان : ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٤٠ •

٤١ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٨٤ •

عين آباغ : ٤٠ ، ٥٣ •

(غ)

غزة : ٩٣ •

غزوان (جبل) : ١٦ ، ٢٠ •

النضا (أهل النضا) : ١٨ •

النور (غور نهامة) : ١٦ ، ٣٩ •

الغريان (فصران) : ٥٠ •

(ف)

فارس (بلاد الفرس) : ٨١ ، ٨٢ •

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٠ •

فدك : ١٥ ، ٢١ ، ١١٣ •

الفرات : ٤٠ ، ٤٩ •

الفرع : ٥٨ ، ٧٨ •

الفلج : ٣٩ •

فلسطين : ١١ ، ٤٢ ، ١١٧ •

• ١٨ ، ١٢ : (صحراء) التفود	• ٧١ ، ١٥ ، ١٤ : (شرب) المدينة
(هـ)	• ٤٢ ، ٤١ ، ٣٦ ، ٣٣ ، ٣٢
• ٨٤ ، ٤٠ ، ١٧ : حجر	• ٧٦ ، ٧٥ ، ٧١ ، ٥٨ ، ٥٣
• ٩٣ ، ٩٢ ، ٨٢ : الهند	• ١١٢ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧
	• ١١١٣
(د)	• ٤١ : مَرّ الظهران
• ٢٠ ، ١٧ : وادي الرمة	• ٩٣ ، ٨٤ : المشقر
• ٧٧ ، ٤٢ ، ٢١ ، ١٥ : وادي القرى	• ٩١ : معين
• ١١٣ ، ١١٢	• ٣٠ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٥ ، ٨ : مكة
• ١٤ : واقم (حرة)	• ٧٥ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ٤١ ، ٣٩
• ١٦ : الوجه	• ١٠٧ ، ١٠٠ ، ٨٤-٨٠ ، ٧٦
• ٥٨ : ورقان (جبل)	• ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٤ ، ١٠٨
• ١٨ : الوشوم	• ١٨ ، ١٧ : منفوحة (قرية)
(ي)	• ٢١ ، ١٦ : مهرة
• ٤٠ : بيرين (زمل)	• ٩٤ : الموصل
• شرب = المدينة	(ن)
• ٥٠ ، ٤٠ ، ٢١ ، ١٨ ، ١٧ : اليمعة	• ٥٨ : نيهان (جبل)
• ٨٤ ، ٥٤	• ٣٦ ، ٢٢ ، ٢٠-١٥ ، ١٢ : نجد
• ٢٢ ، ١٦ ، ١٤ ، ١٣ ، ١١ : اليمن	• ٤٨ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨
• ٥٧ ، ٥٤ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٣٨	• ٨٤ ، ٥٥ ، ٥٤
• ٩٣ ، ٩١ ، ٨٣ ، ٨٠ ، ٧٥	• ١٨ : نجد السافلة
• ١١٤ ، ١١٢ ، ١٠٠ ، ٩٤	• ١٨ : نجد العالية
• ١١٦	• ١١٢ ، ٨٤ ، ٤٢ ، ١٧ : نجران
• ٧٨ ، ٥٨ ، ٤٢ ، ٣٥ ، ١٦ : يتبع	• ١١٤

٨ - فهرس الموضوعات

الصفحة

١٠- ٥

مقدمة

٢٣-١١

مهيد : بلاد العرب

٢٧-٢٤

الفصل الأول : عرب الجاهلية

الجاهلية - مفهومها - الجاهلية كما وردت في القرآن -
في الحديث - في الشعر - معنى الجاهلية - زمنها -
العرب والأعراب - تحديد المفهوم - الأعراب في القرآن -
مع رسول الله - نظرهم إلى الدين الإسلامي - نظرة
المسلمين إلى الأعراب - لكل قبيلة حاضرة وبادية -
اختلاط البدو بالحضر •

٥٦-٣٨

الفصل الثاني : الحياة السياسية

تحديد العصر - مواطن القبائل في الجزيرة - القبائل
العدنانية ومنازلها - سكان الحجاز - نجد - البصرة -
البحرين - العراق - القبائل القحطانية - هجرتهم -
سكان الشام - الحجاز - نجد - العراق - القبائل النبطية
في اليمن - التنظيم القبلي - القبيلة وحدة سياسية
 واجتماعية - تكوين القبيلة - الرئيس وصفاته - أفراد
القبيلة والتزاماتهم - العصية - صلات القبائل - الحلف
والجوار - أسباب الحلف - صلات الحرب - أيام
العرب - الامارات العربية - المناذرة وملوكهم - الغساسنة
وملوكهم - مملكة كندة وامراتها •

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية

البدو والحضر - الصلة بين الاثنين - طبقات المجتمع -
 أبناء القبيلة - الثوالي - العيد - العvisية القبطية - المثل
 العربية - الكرم - الشجاعة - التجدد - تمجيد القوة -
 النار - حلفاء الجاهلية - آفات اجتماعية - الخمر -
 الميسر - النساء - المرأة ومكانتها - أعمالها - مكانتها عند
 الشعراء - الاسلام والمرأة •

معايش العرب - تفاوتهم في الرزق - موارد الحاضرة -
 الزراعة - الصناعة - التجارة - قريش والتجارة -
 ضخامة قوافلها - بضائعهم - الأسواق - انتشارها في
 الجزيرة - موارد البادية - الأبل - الخيل - الصيد -
 الفرو - فقر البادية - حنين العرب الى البادية •

الفصل الرابع : الحياة العقلية

مسورة خاطئة عن العصر - سبب ذلك - انعصب الديني -
 السموية - حضارة العرب الجنوبية - الجاهلية الاولى -
 صلتهم بالأمم المجاورة - وسائل الاتصال - الأسواق -
 الأسفار - الوفادات - الجاليات الأجنبية •
 علوم العرب - النجوم - الأنواء - الطب والبيطرة - الفراسة
 والقيافة - الأنساب - التاريخ والأخبار - الحكم
 والأمثال - طبيعة الحكم العربية •

الفصل الخامس : الحياة الدينية

مفهوم الشرك - ايمان الجاهلين بالله - الأصنام - دحولها مكة -

ضعف الايمان بالدين عند الاعراب - اديان الجزيرة -
 الحنفية - اليهودية - مواطن اليهود في الجزيرة -
 مدى اثرهم في العرب - النصرانية - القبائل النصرانية -
 اديان اخرى - فترة الارهاص والتطلع الى الدين الجديد

١٢٧-١١٩	فهرس المصادر والمراجع
١٥٨-١٢٩	الفهارس :
١٣٣-١٣٠	١ - فهرس الآيات
١٣٤	٢ - فهرس الاحاديث
١٣٥	٣ - فهرس الامال
١٣٨-١٣٦	٤ - فهرس القوافي
١٤٤-١٣٩	٥ - فهرس الاعلام
١٥٠-١٤٥	٦ - فهرس القبائل والامم والاديان ونحوها
١٥٥-١٥١	٧ - فهرس المواضع والبلدان
١٥٨-١٥٦	٨ - فهرس الموضوعات

من كتب المؤلف المطبوعة

- ١ - كبيد بن ربيعة العامري نقد
مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٢م
- ٢ - الاسلام والشعر نقد
مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٤م
- ٣ - شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه
مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٤م
- ٤ - ديوان العباس بن مرداس العسكري
جمع وتحقيق وتقديم وزارة الثقافة والاعلام - سلسلة التراث
بغداد ١٩٦٨م
- ٥ - شعر النعمان بن بشير الأنصاري
جمع وتحقيق ودراسة مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٨م
- ٦ - الجاهلية مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٨م

الخطأ والصواب

على الرغم من العناية المطبعية فقد سقطت بعض الأخطاء التي لا تخفى على القارئ النبيه وأصحها :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٤	٥	والمعادن الى المصهورة	والمعادن المصهورة
١٩	١٠	إذا جعل	إذ جعل
٧٨	١٥	مراعى آخر	مراعى آخر
٧٩	١٧	المضربين	المضربين

مطبعة المنارف - بغداد

١٩٦٨/١٠٠٠/٣٩



AL-JAHILIAH

THE PRE-ISLAMIC AGE,

By

DR. YAHYA W. AL-JUBURY

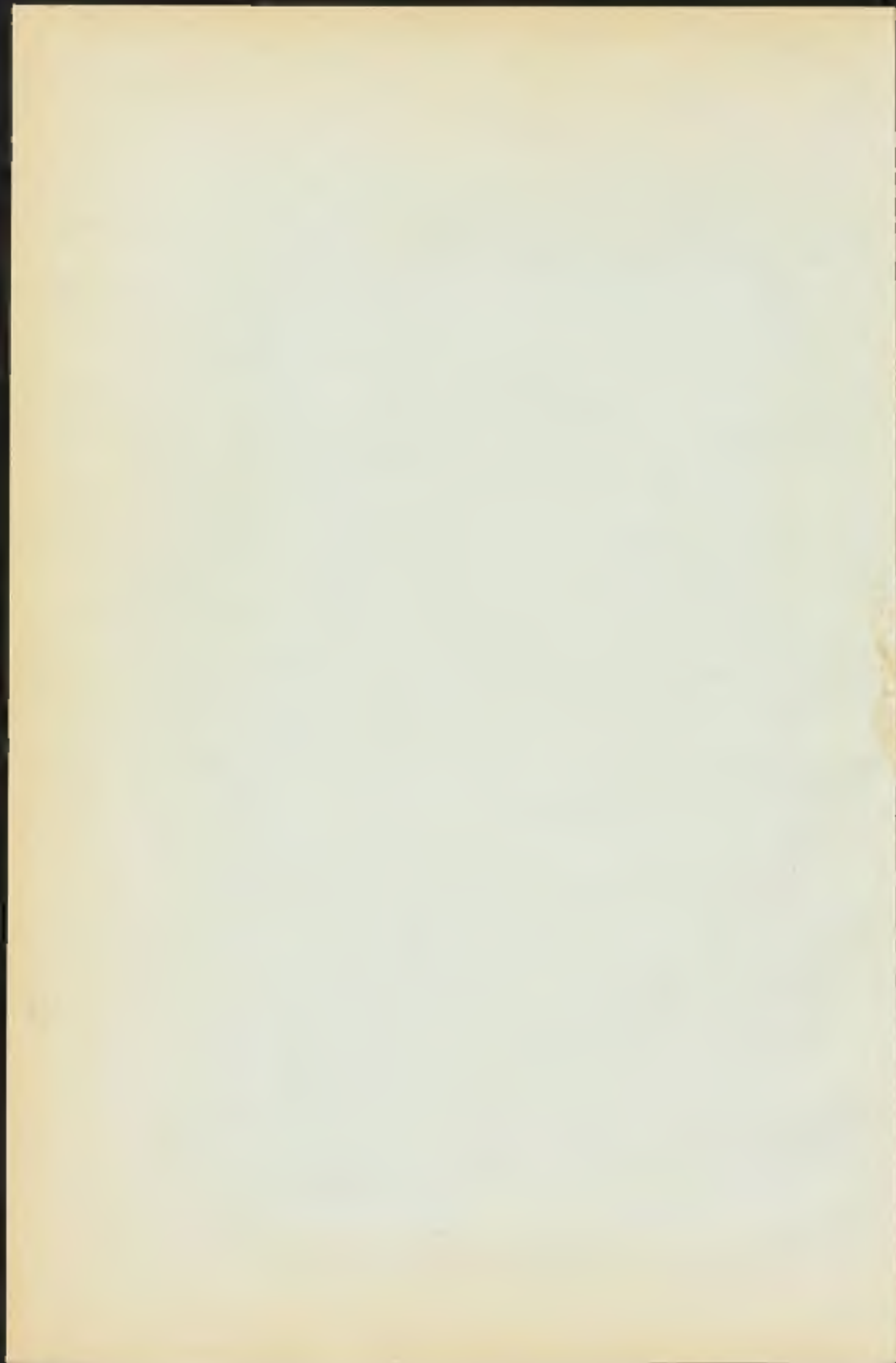
(B. A. M. A. PH. D.)

Faculty of Arts University Baghdad



AL-MA'ABIF PRESS - BAGHDAD

1968





DS
215
•J82

DS 215
•J82

02959267

JUL 22 1971



CU52905632

DS215 .J82

al-Jahiliyyah